الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 –قالمة–

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ



محمد علي باشا و النهضة في مصر (1769م-1849م)

(بناء مصر الحديثة)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالبتان:

* غازي بشرى

* قروي مريم

إشراف الأستاذ الدكتور:

* محمد شرقي

لجنة المناقشة

تاريخ المناقشة: / /

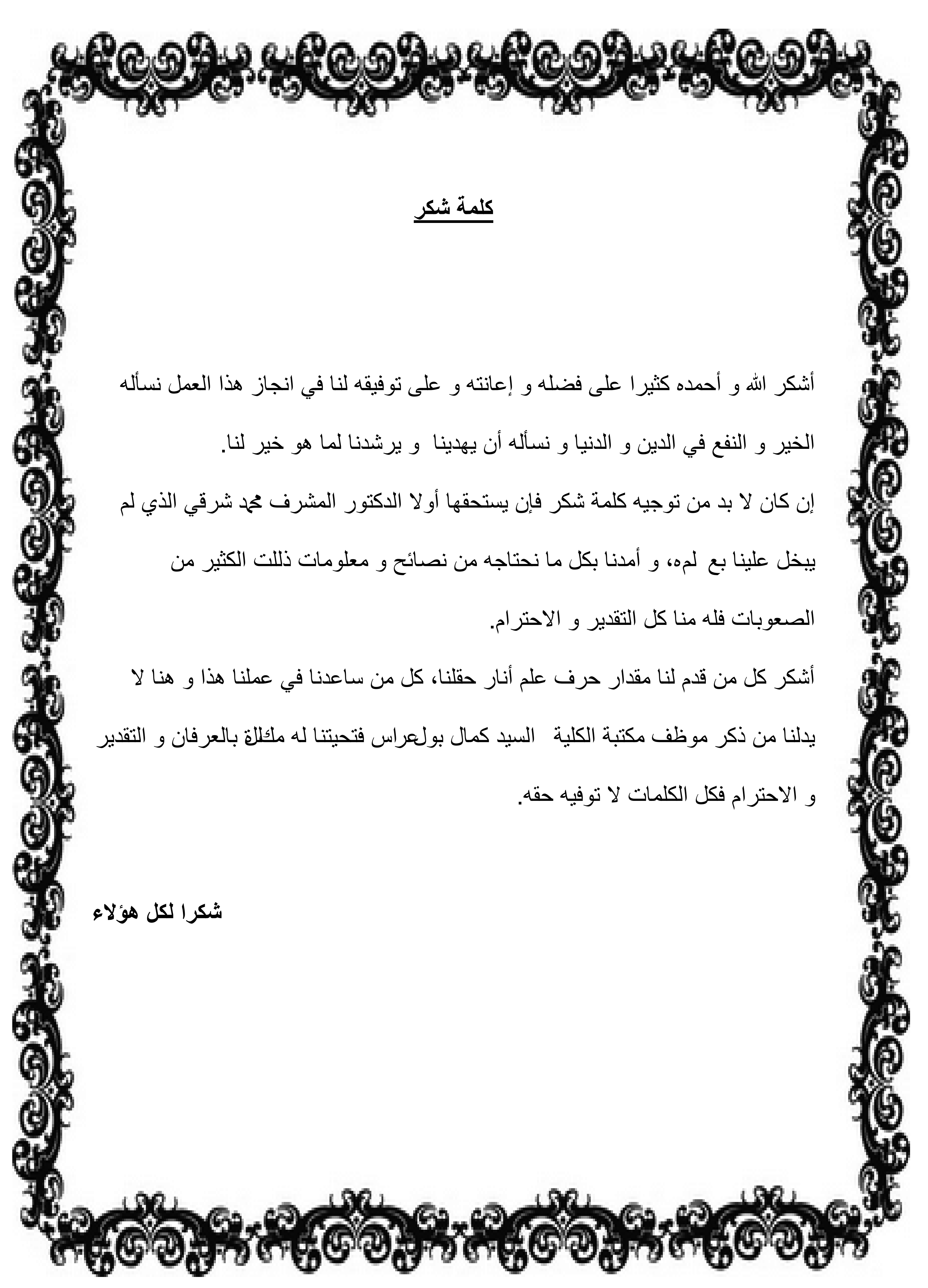
الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
بن شعبان السبتي	أستاذ مساعد أ	رئيسا للجنة	جامعة 8 ماي 1945
شرقي محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة 8 ماي 1945
قدادرة شايب	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية 1436 هـ / 1437 هـ – 2015م / 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) "

صدق الله العظيم



كلمة شكر

أشكر الله و أحمده كثيرا على فضله و إعانته و على توفيقه لنا في انجاز هذا العمل نسأله الخير و النفع في الدين و الدنيا و نسأله أن يهدينا و يرشدنا لما هو خير لنا.

إن كان لا بد من توجيه كلمة شكر فإن يستحقها أولا الدكتور المشرف محمد شرقي الذي لم يبخل علينا بعلمه، و أمدنا بكل ما نحتاجه من نصائح و معلومات ذللت الكثير من الصعوبات فله منا كل التقدير و الاحترام.

أشكر كل من قدم لنا مقدار حرف علم أنار حقلنا، كل من ساعدنا في عملنا هذا و هنا لا يدلنا من ذكر موظف مكتبة الكلية السيد كمال بولعراس فتحيتنا له مكللة بالعرفان و التقدير و الاحترام فكل الكلمات لا توفيه حقه.

شكرا لكل هؤلاء



الإهداء

لقوله سبحانه و تعالى: "وبالوالدين إحسانا"

كلمة في رحاب أمي "الصباح الذي يأتي بوجه أمي يشبه الجنة كثيرا يشبه نعيمها و أمنها و أمانها حتى أن أمي مختلفة عن جميع الأمهات فقد وهبها الله جنتان واحدة تحت أقدامها و الأخرى في قلبها"، أمي هي الشمعة التي احترقت لتنير دربي أطال الله عمرك و أدام لك الصحة و العافية و أدامك تاجا فوق رأسي.

- إليك يا رمز التضحية و النضال يا من كان سندي في السراء و الضراء إلى من أنارت دعواته دربي ها أنا يا جدي أقطف ثمار تعبك و دعمك لي أدامك الله تاجا لرؤوسنا و فخرا لعائلتنا جازاك الله في تعبك خير جزاء.

إلى من قاسمتهم لحظات حياتي و شاركتهم الحزن قبل الفرح فلا معنى للراحة إلا بينهم: الخال جهيد و الخال جمال و الخال كمال، الخالة فضيلة، الخالة مسعودة، و إلى كل أفراد العائلة: حكيمة، سميحة، مروى، صفاء، إدريس، رائد،وغاليتي شهد.

و إلى كل من وسعهم قلبي من عائلتي الجديدة إلى من دعمني بدعواته قبل كلماته أبي عمار و الأم دليلة و الإخوة هارون، يعقوب، محمد، مروان، و أميرة.

إلى رفيقات الدرب و سر بسمة السنين: نور الهدى، و إلى الثلاثي المرح: زهرة، أحلام، مريم.

الى كل من غابوا عنا و بقيت روحهم حاضرة جدتي زهراء و خالتي زوينة و الخال الغالي جمال مرابطي

اهدائي الخاص الى من منحني الدعم لأواصل المشوار أدامك الله نورا يضيء افقي وحفضك من كل سوء "عبد اللطيف"

غازي بشرى

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من علمني أن النجاح لا يتم إلا بالصبر، والإصرار والعزيمة، إلى من كان دعائها سر نجاحي إلى معني الحب و التفاني إلى أمي الحبيبة، إلي من كلله الله بالهبة والوقار ، إلي من علمني العطاء بدون انتظار إلي والدي العزيز ، أطال الله في عمرهما وأمدهما بالصحة والعافية.

إلى من أرى التفائل في عيونهم و السعادة في ضحكتهم، اخوتي :خالد ،بسمة ، أية.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهم أمي ،ومن تميزوا بالوفاء و العطاء و الصدق بشري ،ألفة ،سعاد ،ابتسام، سارة ،سعاد.

إلى من معهم سعدت ،و في درب الحياة سرت في حلوها و مرها ،إلى من كانوا معي على طريق النجاح،أحلام و زهراء.

إلى كل أعمامي و اخص بالذكر عمي عمار ، و زوجاتهم و عماتي و عائلة قروي.

إلى من ساندني و قدم لي كل الدعم :طارق

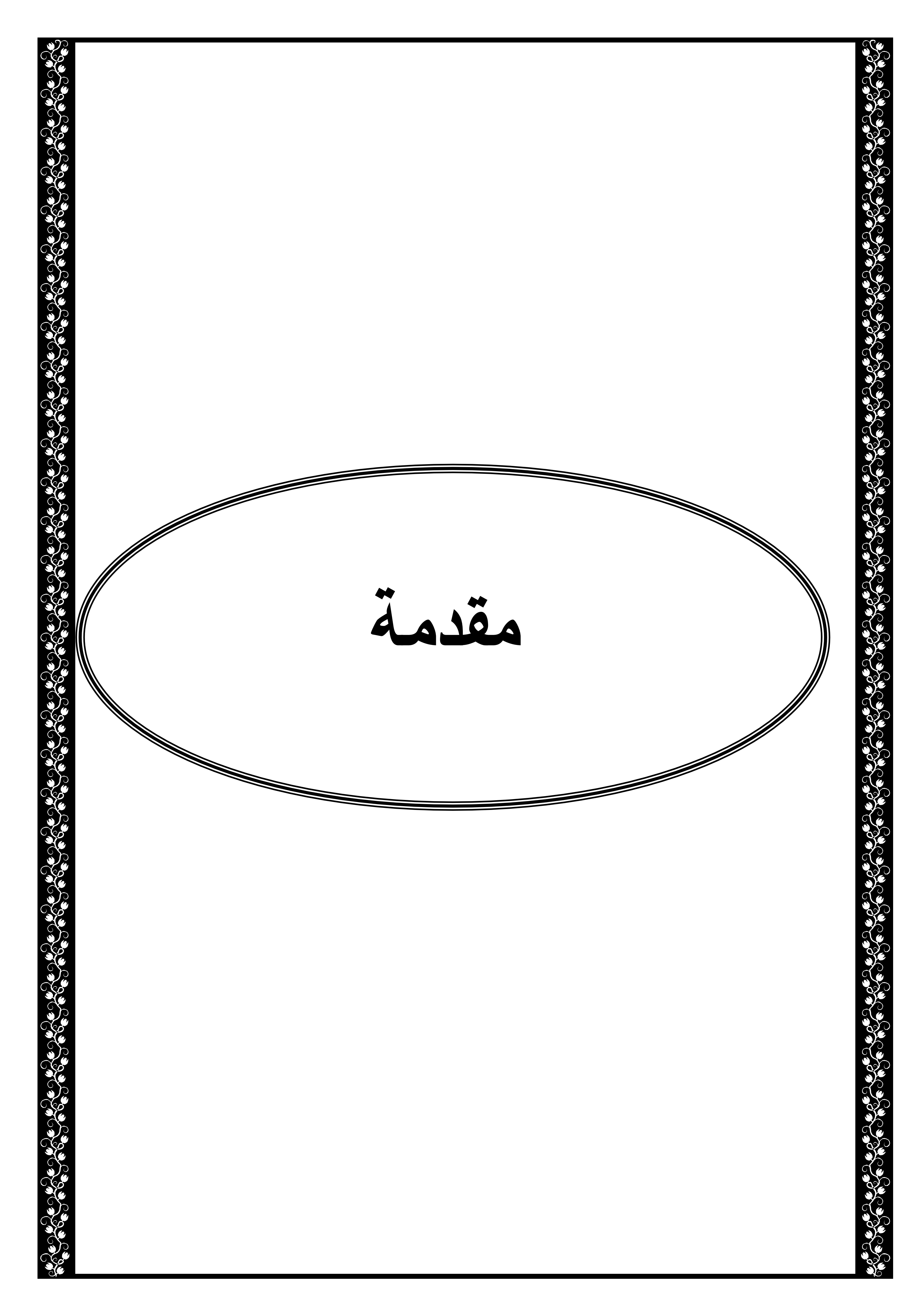
إلي أحبتي الصغار معتز، الياس و جواد ،رواد و زينة ،ميساء،سلوي و سلمي.

إلى روحي ، أخي قروي عبد العالي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

مريم قروي

قائمة الاختصارات:

الاختصار	المقصود به
إش	إشراف
إع	إعداد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	جزء
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري



مقدمة

عانت الدولة العثمانية من حالة الضعف و الانحطاط في أواخر القرن 18 مما جعلها عرضة للأطماع الغربية وهذا ما انعكس سلبا على أيالات الدولة العثمانية ومناطق نفوذها حيث كانت مصر من أهم أملاك الدولة وكانت محط أنظار وأطماع العالم الغربي فتاريخها وموقعها ومكانتها زاد في الصراع على المنطقة وترتب عن هذا ما عرف في التاريخ بالحملة الفرنسية على مصر Expédition Française vers l'Egypte التي أثارت تخوف السلطان العثماني الذي عانت الدولة في عهده العديد من الأزمات الداخلية والخارجية جعلته يلجأ الى بعث حامية عسكرية لطرد الفرنسيين من مصر وكانت تضم الحامية الكثير من الجنود ومن بينهم الجندي محمد علي الذي لطالما عرف بتحقيق الانتصارات وانجاز كل المهمام التي توكل اليه.

كان وصول محمد علي الى مصر أول خطوة يتخذها في تحقيق أماله وطموحاته فبعد نجاحه في طرد الفرنسيين لم يغادر مصر لكن ظل في دوامة الصراعات حول السلطة بين المماليك والعثمانيين والإنجليز فكل طرف أراد الاست قلال بحكم مصر لكن محمد علي أثبت أنه الطرف الأقوى وتمكن من الإنفراد بالحكم لتدخل مصر على يده حقبة تاريخية جديدة.

فبعد تخلصه من الدسا ئس والعراقيل التي واجهته أخذ الباشا يخمد الثورات وتمرد الأهالي من أجل إبداء ولائه للسلطان العثماني فقد كان ينجح في كل مهمة يكلف بها إلا أن هذه الانتصارات المتتالية حركت أطماع الباشا ورغبته في توسيع رقعة حكمه فأراد أن ينفرد بحكم مصر له ولأبنائه من بعده وهنا اتضحت معالم النزاع والصراع بين محمد علي والسلطان .

بالرغم من الصراعات وحالة الفوضى إلا أن الباشا لم يتنازل عن حلمه في قيام نهضة قومية التي كانت الباعث الأول ليقظة العالم العربي حيث أن محمد علي كان مدركا أن حكمه لن يدوم بإحاطة نفسه بالأسوار والحراس بل يدوم بإقامة دولة حديثة أسوارها علم وازدهار وتطور تـظاهي دول العالم الغربي فوجه اهتمامه بكل مجالات النهوض فأول ما أراد الوصول له هو التخلص من التبعية للدول الأوروبية.

يعتبر محمد علي هو من جدد مفاخر النيل ونفخ في مصر روحا جديدة, و كان محط تضارب الآراء بين المؤرخين والكتاب بين مؤيد لنهضته ومعارض فكل هذه أمور شجعتنا لاختيار هذا الموضوع من أجل التعمق في إصلاحاته وانجازاته وقبل كل هذا أثارنا الفضول حول الشخصية التي أثرت في تاريخ مصر وحولت مسارها , من هنا نقوم بصياغة إشكالية لبحثنا وهي كيف

استطاع محمد علي النهوض بمصر والقيام بكل هذه الانجازات في ظل انهيار الدولة العثمانية؟ وتضمنت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة التي سنجاوب عنها في موضوع البحث وهي كالآتي: كيف تمكن جندي ألباني في صفوف الحامية العسكرية العثمانية أن يقلب موازين الحكم إلى صالحه؟ وكيف تصدى إلى الصعوبات التي واجهته في الوصول إلى الحكم سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي؟ هل التمرد الذي قام به ضد السلطان وخروجه عن الحكم التابع للدولة العثمانية أثر على سيره؟ ما هي الأسس والمقومات التي اعتمد عليها للنهوض بمصر؟ كيف أثرت النهضة المصرية على علاقاتها الخارجية؟ ما رأي المؤرخين والنقاد في سياسة محمد علي وفي الأعمال والإنجازات التي قام بها؟

و للاجابة عن هذه التساؤلات قمنا بدراسة شمل حيزها الجغرافي منطقة الشرق الأوسط وتحديدا مصر وبعض أقاليم الدولة العثمانية مثل الشام وغيرها والنطاق الزماني من مولد محمد علي باشا 1769م الى وفاته سنة 1849م, وضعنا خطة للعمل تشتمل على ثلاث فصول، أدرج في الفصل الأول تحت عنوان محمد علي باشا و الي مصر ودرسنا في هذا الفصل أربع مباحث الأول جاء فيه مولد ونشأة محمد علي ووصف خارجي له وختمنا بالحديث عن أخر أيامه حيث تدهورت حالته الصحية أما المبحث الثاني أوضاع مصر قبل تولي الباشا الحكم ونجد هذا في الحملة الفرنسة التي ترأسها نابليون في مصر أما المبحث الثالث هو صراع محمد علي على الحكم وشمل هذا العنصر تصارع محمد علي مع والي مصر السابق خورشيد باشا كما أوضحنا هنا كيف أطاح محمد علي به وأخذ منه حكم مصر بأمر من السلطان العثماني وتكلمنا في المبحث الرابع عن سياسة محمد علي في مصر وهنا أراد الباشا التخلص من كل من هدد حكمه في مصر، و تمثل صراعه مع المماليك في مذبحة القلعة والإنجليز في معركة فريزر و تمرده على السلطان.

وأدرجنا الفصل الثاني تحت عنوان مجالات قيام النهضة في مصر احتوى هذا الفصل على أربع مباحث درسنا في المبحث الأول المجال الاقتصادي وكيف تمكن الباشا من إعادة إصلاح الأراضي الزراعية وإقامة المصانع وبناء السدود وغيرها من الانجازات أما المبحث الثاني فهو المجال العسكري وهنا ذكرنا كيف تمكن الباشا من بناء جيش قوي و اسطول يضاهي أساطيل الدول الاوروبية أما المبحث الثالث فهو المجال العلمي والصرح الكبير الذي أقامه الباشا من مدارس ومعاهد على الأسس الأوروبية من أجل الاستغناء عن العمال الأوروبيين الذي كانوا يعلمون المصريين التقنيات الصناعية الحديثة والمبحث الرابع درسنا فيه المجال الإداري

والعمراني حيث أن الباشا أعاد تقسيم مصر بشكل جذري كما ذكرنا هنا أهم المباني التي شيدت في عهد الباشا وكان أهمها القصور التي عاش فيها هو وعائلته بالإضافة إلى المساجد لننتقل بعدها إلى الفصل الثالث والذي كان تقييم لنهضة محمد علي واحتوى على ثلاث مباحث وتضمن المبحث الأول المشاكل والصعوبات التي واجهة الباشا في نهضته وكيف تمكن من التغلب عليها ودرسنا في المبحث الثاني أثر نهضة محمد علي من خلال النتائج الايجابية والسلبية التي ترتبت عن النهضة واختتمنا هذه الدراسة بالمبحث الأخير والذي كان عبارة عن رؤى المؤرخين في نهضة محمد علي والتي تضاربت فيها الآراء بين مؤيد ومعارض.

اتبعنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي السردي في نقل الأحداث وترتيبها واعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها الياس الأيوبي محمد علي سيرته وأعماله وأثاره وكتاب حسين الكفافي محمد علي رؤية لحادثة القلعة وكتاب محمد رفعت تاريخ مصر السياسي هذا فيما يخص الفصل الأول أما الفصل الثاني قد اعتمدنا بشكل كبير على صلاح أحمد هريدي الحرف والصناعات في عهد محمد علي وكتاب محمد فؤاد شكري بناء دولة مصر "محمد علي" والمصدر خالد فهمي كل رجال الباشا أما الفصل الثالث فنذكر منه السيد فرج حروب محمد علي و أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في مصر، عبد الرحمن الرافعي عصر محمد علي.

ان كل الدراسات العلمية لا تخلو من الصعوبات التي تواجه الدارس في جمعه للمادة العلمية وفيما يخص بحثنا هو قلة المراجع في الولاية والولايات القريبة مقارنة بالكم الهائل من الكتابات الخاصة بشخصية محمد علي مع ذلك نتمنى أن نكون وفقنا لحد ما في انجاز هذه الدراسة.

الفصل الأول

محمد علي باشا والي مصر

01- المولد و النشأة :

شكلت شخصية محمد علي صفحة مهمة من صفحات تاريخ مصر الحديث فهو رأس الأسرة العلوية و مؤسس مصر الحديثة .

ولد محمد علي باشا ببلدة قولة سنة 1769 من أصل ألباني ([1]) ، و هناك من ينسبه إلى عائلة تركية هاجرت من عربكير في الأناضول إلى قولة ([2]) كان والده ابراهيم آغا بن علي يعمل رئيسا للحر س و الذي توفي و عمر الهاشا أربع سنوات ([3]) ، رباه عمه و زوجه ابنته ، اشتغل في تجارة الدخان و ربح منها ثروة طائلة ([4]) لم يكن على جانب كبير من العلم ، لكنه على جانب كبير من الذكاء و الحنكة ما جعله يلتحق بالجيش العثماني الذاهب إلى مصر لطرده الفرنسيين . ([5])

كان محمد علي باشا واسع الجبين ، مقوس الحاجبين ، ذا عينين سوداويتين غائضتين في دائرتيهما وفم صغير باسم كانت له عناية شديدة بلحيته البيضاء ، كان قوي البنية ثابت المشية ، لم يكن يحب البذخ في الملابس ، كان سخي اليد كثير الميل إلى النساء شغوف بالمجد أكثر من أي شيء كثير التأثر بما تقوله الصحافة العربية ([6]) و لذكائه وسعته الدؤوب عين قائدا على الوحدات العسكرية برتبة شرشمة ([7]).

كان لمحمد علي خمسة أولاد ذكورا و بنتين ، كان له من الذكور ابراهيم و طوسون و اسماعيل أما البنات فالكبرى زوجة محرم بك أمي رالأسطول المصري و الصغرى زوجة أحمد بك الدفتردار ([8]) و ذكر المؤرخون حول حنكته حادثة عن قرية " بروسطة

---

(1) هشام سواد هشام، تاريخ العرب الحديث 1516 – 1918 من الفتح العثماني إلى الحرب العالمية الأولى، ط 5، دار الفكر، عمان، 2010، ص 137 .

(2) فاضل بيات، الدولة العثمانية بين المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق و المصادر العثمانية مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 425 .

(3) محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمة الحديثة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1934، ص 137 .

(4) عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط 1، وحي القلم، لبنان، 2006، ص 141 .

(5) فاضل بيات، المرجع السابق، ص 425 .

(6) الياس الايوبي، محمد علي سيرته واعماله آثاره، دار الهلال، مصر 1923، ص 95 – 100 .

(7) هشام سوادي هشام، المرجع السابق، ص 137 – 141 .

(8) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 52.

" امتنع أهلها عن دفع المال فاستعصى الأمر على الوالي اسماعيل فاستنجد بمحمد علي الذي أخذ معه عشر رجال مسلحين و عند وصوله إلى القرية قصد المسجد و صلى فيه و أرسل يطلب أربعة من كبار أعيان القرية فأشار محمد علي بالقبض على الأعيان فتجمهر حوله أهل القرية طالبين منه إطلاق سراحهم فهددهم بذبح الأعيان إن لم يدفعوا الأموال في الصباح جاء أهل القرية و دفعوا الأموال المتأخرة و ليخلصوا أعيانهم من الأسر . ([9]) بالإضافة إلى ما سبق ذكر أنه ثعلب ماكر همه نفسه و أولاده لذلك لا يهتم بأحوال الأمة و عمل على تجميل صورته في أعين الغرب . ([10])

تولى محمد علي حكم مصر في 18 جوان 1805 عن عمر يناهز 35 سنة فأخذ الأمور بجد و حزم من أجل إخماد نار الفتن السائدة ([11]) ، فقد لاحظ كيف كان الوضع ممزقا و أن الشعب كان يسمع كلمته شيوخه لذلك عمل على كسب ثقة الشعب إلى جانبه ، و هذا ما جعل المؤرخين المصريين و العرب يطلقون عليه تسميات تخصه دون غيره أهمها " صاحب المنح ، محي قطر مصر ، المجدد ، مؤسس أسرة الخديوي العلوية، مؤسس مصر الحديثة ([12])، و هنا نجد أنفسنا أمام شخصية عنودة ، ذكية ، محنك عرف عنه هذا من قبل قدومه إلى مصر و عرف عنه أطماعه السياسية ([13]) التي ترجمها بمجموعة من الحروب أبرزها حروبه على الشام فقد بلغ من النفوذ و القوة ما يسمح له بتهديد القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية حيث كانت هذه الحروب فرصة ثمينة لمد نفوذه إلى الجزيرة العربية و تطلع حتى إلى مياه الخليج العربي ثم الصعود إلى البصرة و بغداد . ([14])وجه أنظاره شرقا نحو الأراضي الحجازية و غربا نحو ليبيا و جنوبا نحو

(9) علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، ج 2 ، ط 2 ، مكتبة حسن العصرية ، لبنان ، 2012 ، ص 103،104 .

(10) حسين الكفافي ، محمد علي رؤية لحادثة القلعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1992 ، ص108.

(11) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص 16 .

(12) مصطفى بركات، الألقاب و الوظائف العثمانية = دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى الغاء الخلافة العثمانية 1517–1924، دار غريب للطابعة و النشر، القاهرة، 2000، ص 419.

(13) محمد عادل عبد العزيز، انهيار الخلافة العثمانية و توابعه، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2006، ص 115.

(14) عائض بن حزام الروقي، حروب محمد علي في الشام و آثارها في شبه الجزيرة العربية، مركز بحوث الدراسات الاسلامية، مكة المكرمة، 1414 هـ، ص 8.

السودان حتى منابع النيل و أسقط بلاد الحجاز بين يديه سنة 1818 بالإضافة إلى أنه وجه حملة إلى جنوب السودان . ([15])

من أبرز أعماله التي ذكرها التاريخ بقوة هو حروبه مع الحركة الوهابية التي كان مركزها السعودية فانتصر محمد علي في 1815 على القوات السعودية في موقعة "بل" و هي الموقعة التي يعتبرها البعض من أهم المعارك في تاريخ مصر الحربي حيث استطاع الباشا القبض على شريف مكة غالب بن مساعد و صادر كل ما يملكه من أثاث و متاع و بذلك أصبح شريف مكة تحت إمرة الباشا و أصبح من موظفيه . ([16])

توالت إنجازاته و حروبه حتى تقدم به السن وانزوى عن العالم يقضي أيامه الأخيرة تارة في أعماق سراي رأس التين في الإسكندرية و تارة في شبرا القاهرة لا يعلم مما يجري حوله من أمور ([17])، حيث قال في أواخر أيامه " ما كنت آمل الوصول إلى المراكز التي وصلنا إليها اليوم و لذلك يسهل عليا إتلاف أحد أسرتي الحاكمة على ثلاثة ملايين من النفوس في سبيل عمارة و إصلاح الوطن الذي هو أخص مرغوبي".([18])

سلم محمد علي الحكم لإبنه ابراهيم لأن الباب العالي يعترف بحقوق الولد الأكبر في الخلافة غير أن ابراهيم توفي قبل الباشا ب 9 أشهر ([19]) و هناك من يقول أن ابراهيم عزل الباشا لأنه كان قد خرف لكبر سنه و أذن في ذلك المشايخ و توفي بعد توليه الخلافة بعدة أشهر ([20]) و في صيف 1849 غادر القاهرة للمرة الأخيرة يستنشق هواء البحر المالح في الاسكندرية و توفي هناك حيث وضع جسده في قاعة فسيحة و غطي بألكفان نفيسة و قام ابنه محمد سعيد باشا باستقبال وفود المعزين في سراي رأس التين ثم

---

(15) أمل عجيل، قصة و تاريخ الحضارات العربية = موسوعة تاريخية جغرافية حضارية أدبية ليبيا و السودان و المغرب، ج 19، بيروت، 1999، ص 69.

(16) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و اسباب السقوط، ط 1، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، بورسعيد ، ص355 .

(17) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص 148.

(18) محمد شفيق غربال ، محمد علي الكبير ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، ص 105 .

(19) رانيا الهاشم ، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم ، مصر ، ص 88 .

(20) أحمد عوف ، أحوال مصر من عصر إلى عصر ، العربي للنشر و التوزيع ، الاسكندرية ، ص 119 .

نقل جسده إلى العاصمة و دفن في المسجد الرخامي المرمر الذي أنشأه على جبهة قلعة الجبل . ([21])

توفي في 13 رمضان سنة 1365 ه الموافق ل 2 أغسطس 1849 م و دفن في المسجد الذي بناه ([22]) شيعت جنازته باحتفال مهيب و هكذا انتهت حياة ذلك الرجل الكبير بعد أن خلف مجدا لا يمحيه الزمان ، توفي بعد أن حقق الاستقلال للدولة المصرية و شيد معالم نهضتها ([23]).

(21) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص 129 .

(22) محمد فريد بك، تح احسان حقي ، تاريخ الدولة العثمانية ، تح احسان حقي ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 ، ص 390 .

(23) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص 149 .

2- أوضاع مصر قبل حكم محمد علي :

تراجعت سلطة الأتراك العثمانيين في مصر رغم امتداد حكمهم لفترة طويلة من الزمن فالدولة العثمانية في الواقع لم يكن يعنيها أن يسود النظام او الوحدة في أي ولاية من ولاياتها فاضمحل سلطانها و عادت الكلمة للمماليك الذين انحلت أخلاقهم فسائت احوال البلاد في شتى المجالات وكان الشعب في اتعس حالاته حيث عانى من الجهل و الفساد و الشتات .(24)

فتداول على حكم مصر عناصر غير محلية في هذه الفترة و مثل المماليك الانجليز العثمانيين و الفرنسيين و التي تركت آثارا واضحة في المجتمع المصري رغم قصر مدة حكم بعضها و الحديث عن أوضاع مصر في فترة ما قبل حكم محمد علي يجبرنا إلى التطرق للحملة الفرنسية . (25)

قاد نابليون الحملة الفرنسية على مصر ضمن 400 سفينة و 35 ألف مقاتل سيطروا على الاسكندرية في جويلية 1798 م حيث ادعوا انهم يريدون تخليص مصر من المماليك الذين انقسموا إلى جيشين بقيادة ابراهيم بك إلى الشام و مراد بك إلى الصعيد . (26)

حيث خاطب نابليون المصريين قال لهم أنه لم يأتي لإزالة دينهم و إنما جاء ليخلصهم من أيدي الظالمين و قال أنه لن يستثني أحد من المصريين من المناصب السامية في الدولة و لكنهم حذروه من التعامل مع المماليك و الانصياع لأوامرهم ثم توجهت كل هذه الفرمانات إلى الديار المصرية و في اليوم الثاني وجه نابليون العساكر من الإسكندرية إلى دمنهور و بوصول الأخبار لمراد بك أدرك الضرر الذي ينتظرهم.(27)

---

(24) محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم ، ط 1 ، دار الكتب المصرية، القاهرة 1926، ص 20– 23 .

(25) الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 ، ص 137 .

(26) فاضل بيات ، المرجع السابق، ص 464 .

(27) نقولا التركي، الحملة الفرنسية على مصر و الشام ،تح ياسين سويد،ط1،دار الفرابي، لبنان، 1990، ص30–33.

و ساعده في ذلك الأقليات غير الإسلامية من النصارى و اليونان بمعاونة الاحتلال الفرنسي في التقدم إلى القاهرة ، وصل هذا التأييد إلى حد تكوين فرقة عسكرية من أبناء هذه الطوائف فالتحقت هذه الفرق بالجيش الفرنسي و التي زودت بأحدث الأسلحة.(28)

و عند وصول هذه الأخبار لمراد بك اشتعل غضبا و سار إلى ابراهيم بك يخبره بضرورة الاتحاد لمواجهة الاحتلال الفرنسي فحضر العلماء و المشايخ فجمع الفرسان ما يفوق 20 ألف مقاتل و ساروا على بلاد بقرب بلاد رشيد و عند وصولهم قابلتهم القوات الفرنسية بالهجوم المباشر حيث كانوا يرمون بالمدافع و بالأسلحة الحديثة و ألحقوا هزيمة بجيوش مراد بك و ابراهيم بك فألحق بهم الدمار من قبل الفرنسيين (29) .

رغم المقاومة الشديدة و المعركة الجهادية بقيادة علماء الأزهر استطاعت القوات الفرنسية احتلال مصر و ارتكبت أفضع الجرائم فأحرقت القرى و سرقت الأموال و انتهكت أعراض النساء و شردت الأسر . (30)

و بالفعل سقطت مصر في يد بونابرت في 23 جويلية فحول بعدها إلى الخطوة الثانية و هي توطيد علاقاته مع الأمراء المسلمين و أمراء الهند من أجل انقلابهم على منافسيه في حكم مصر ألا و هم الانجليز فتحالفت الدول الأوروبية لإخراج الحكم الفرنسي من مصر و في نفس الوقت أعلن السلطان العثماني حملته على مصر . (31)

بعد الهجوم الفرنسي على مصر أعلن السلطان سليم الثالث حملة على الفرنسيين في مصر فخرج لمساعد ته جماعة من الحجاز و الشام و من الحجاز خرجت جموع بقيادة محمد الكيلافي الذي دعى الناس إلى الجهاد و جمع جيشا قدره 6000 جندي عزموا على النصر او الاستشهاد بالإضافة إلى قوات مراد بك التي شكلت جبهة حزبية إسلامية. (32)

---

(28) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، ط 1، دار التوزيع و النشر الاسلامية، بور سعيد، 2001 ، ص 329.

(29) نقولا التركي، المصدر السابق، ص 33 .

(30) جمال عبد الهادي و آخرون ، الدولة العثمانية أخطاء وجبت التصحيح في التاريخ ، ط 1 ، دار الوفاء، 1994، ص 86 .

(31) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ مصر الحديث و المعاصر 1517 – 1922، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2009 ، ص 73 .

(32) عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة انجلو المصرية ، القاهرة ، 1980 ، ص 49.

كما ظهرت شخصيات في شمال إفريقيا مثل المهدي الدرناوي الليبي الذي نادى للجهاد ضد الفرنسيين فدعى مسلمي شرق ليبيا لمساعدته في ذلك حيث مر و سار بجيوشه إلى دمنهور التي تعسكرت فيها حامية فرنسية أبادها المهدي و كان لانتصاره صدى كبير لدى المسلمين مما ح على حاكم الإسكندرية يرسل نجدة بالمدفعية لتتعقبه و لكنها هزمت أيضا. (33)

و نتج عن هذه الهزيمة أن البحرية الفرنسية تكبدت خسارة جسيمة قضت على كل أمال فرنسا فبقي الانجليز أصحاب السيطرة على البحار كما فرض وا حصارا شديدا على الشواطئ المصرية المطلة على البحر الأبيض فأصبحت فرنسا لا تستطيع أن ترسل نجدتها إلى جيشها في مصر فسحبت جيوشها من مصر قصد المحافظة على الكيان العثماني من أجل الاستفادة منها بأكبر شيء ممكن خاصة بعد التكتل الأوروبي ضد فرنسا.(34)

و قبل انتهائنا من الحديث عن الحملة الفرنسية لابد لنا ذكر أبشع الجرائم التي قاموا بها حيث نجد في رواية الجبرتي أن في اليوم الثاني من الثورة هاجم الفرنسيون الجامع الأزهر ثم دخلوه و هم يمتطون الخيول و ألقوا الكتب و المصاحف على الأرض و داسوها بأرجلهم و نعالهم وضلوا محتلين الأزهر حتى ذهب وفد من المشايخ إلى بونابارت يطلبون منه الجلاء عنهم فانتقم الفرنسيون من المسلمين في القاهرة و ضواحيها أبشع انتقام(35).

رغم هذه الهزيمة إلا أن الدولة العثمانية لم تتمكن من بعث قواتها لحكم مصر إلى بعد سنة ففي هذه السنة أقامت فرنسا إدارة جديدة مستخدمة المسبحين و هذا ما أدى إلى قيام تمرد شعبي(36).

في ظل هذه الظروف نجد أن صراع بين فرنسا و انجلترا مستمر حيث أخذت كل واحدة على حد تريد جعل كلمتها مسموعة لدى الباب العالمي و ذلك لتحقيق أهدافهم في مصر بطرق سليمة و بالتالي لا تدخلان في صراع من أجل المناطق التي هي تحت النفوذ

---

(33) جمال عبد الهادي وآخرون، المرجع السابق . ص 90 .

(34) اسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة العبيكات ، 1997 ، ص 209–221.

(35) عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، ج 3، دار النفائس، ص 18.

(36) فاضل بيات، المرجع السابق، ص 464.

العثماني و هنا استغلت انجلترا الفرص [37] و عقدت اتفاق مع الدولة العثمانية في 5 جانفي 1799[38] استطاعت انجلترا من خلاله معرفة وجهة الحملة الفرنسية فتعرض لها الأسطول الانجليزي الذي ألحق بها هزيمة كبيرة حيث بقي منها 4 سفن و هنا وضع حد لأطماع بونابرت[39].

بعد جلاء الفرنسيين من مصر في أكتوبر 1801[40] عمت الفوضى أنحاء مصر حول من سيتولى حكم مصر فبقي الصراع بين كل من المماليك و العثمانيين و الانجليز إلا أن المماليك بعد أن كانوا يسعون للسلطة تشتتوا و ضعفت قوتهم و ذلك بعد وفاة زعيمهم مراد بك في 1801 فانقسموا بين كل من البرديسي الذي كان يفضل الفرنسيين و الألفي الذي كان يؤيد الانجليز وهنا ظهر طرف ثالث بزعامة عثمان بك حسن الذي أيد العثمانيين [41] فكانت قوة المماليك هي الأضعف بعد انقسامهم فلم يعدلهم مجال يتصارعون عليه من أجل السلطة فاستمر الصراع بين الانجليز و العثمانيين الذين كانوا يرون أنفسهم الأحق بالحكم باعتبار أن مصر كانت في الأصل ولاية تابعة للدولة العثمانية[42].

فوصل الصراع إلى ذروته بين الانجليز و العثمانيين فاستغل الانجليز فرصة المماليك المؤيدين لهم و جعلوهم ركيزة لهم بها و بالتالي يقع الصدام بين العثمانيين و المماليك و الانجليز و بالتالي تتفرق قوة العثمانيين على المحاربة على جبهتين[43].

لكن سرعان ما تغيرت الأحداث حيث أن انجلترا اضطرت مرغمة على انسحاب جيوشها من مصر و ذلك بعد صلح أميان الذي عقدته مع فرنسا و غرضه المحافظة على الكيان العثماني من أجل الاستفادة منه بطرق سليمة[44].

---

(37) عبد الرحمان الرافعي، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989، ص 36.

(38) جلال يحي، مصر الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص553.

(39) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث و المعاصر 1517–1922،المرجع السابق، ص 106.

(40) جلال يحي، المرجع السابق، ص 353.

(41) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، 1516– 1922، "دار النهضة العربية"، بيروت، ص 299.

(42) حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص 121.

(43) جلال يحي، المرجع السابق، ص 335.

(44) اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 221.

و بتخاذل انجلترا بداية في الخروج من مصر أصرت فرنسا عليها بسرعة الجلاء فأرسل نابليون ضابطا إلى مصر للتعرف على نيات الانجليز في عدم الجلاء فانسحبت القوا ت الانجليزية في مارس 1803م[45].

فانسحاب الانجليز من مصر تركوا بذلك السلطة في يد العثمانيين الذين أخذوا يدبرون المكائد للمماليك من أجل الانفراد بالحكم[46].

كان لهذه الصراعات في مصر الأثر الكبير سواء على مصر أو على الشرق الأوسط عامة ففي خضم هذه الأحداث ظهرت هناك على الساحة شخصيات مهمة أثرت و غيرت تاريخ مصر بشكل كبير مثل محمد علي [47] فقد شهد هذا الأخير الصراعات الثلاث على السلطة و شاهد الفوضى التي حلت بالبلاد إثر جلاء الفرنسيين عنها فقرر الاستفادة من هذه الظروف و استخدمها لمصلحته[48].

.

---

(45) إسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق، ص 222.

(46) جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث من الفتح الحديث من الفتح الاسلامي إلى الآن، ج 2، مكتبة مدبولي، 1999، ص 144.

(47) عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط 1، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2008، ص 613.

(48) اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 221.

3- صراع محمد علي على السلطة:

تم التطرق فيما سبق إلى أن محمد علي باشا أتى إلى مصر رفقة الجنود الألبانيين للتخلص من الحملة الفرنسية على مصر. بعد جلاء الحملة عين خسروا باشا واليا على مصر، و كان محمد علي قائدا لإحدى الفرق وقع نفور بين محمد علي و خسروا باشا، حيث حاول الأخير التخلص من محمد علي غير أنه لم يتمكن من ذلك لأن الجنود * الأرنؤود ثاروا عليه بإيعاز من محمد علي لعدم دفع مرتباتهم، فتم طرده من القاهرة، بعدها إختار الأهالي طاهر باشا واليا مؤقتا، في انتظار بديل لخسروا باشا، إلا أن الأخير لم يلبث طويلا حيث تم قتله من قبل الإنكشارية بسبب دفع مرتبات الأر نؤود، و امتناعه عن دفع مرتباتهم (49)حيث لم تدم فترة حكمه سوى ستة و عشرون يوما فقط، أدرك خلالها أن لابد للألبانيين من حلفاء لكي يحافظوا على ثورتهم ضد خسروا باشا(50).

بعد موت طاهر باشا أرادت الإنكشارية تعيين أحمد باشا، انتهز محمد علي باشا الفرصة، و كاتب أمراء المماليك، فأتى عثمان بيك البرديسي و غيره إلى القاهرة، بعدها تم حصار منزل أحمد باشا، و ألزم على الخروج من مصر، ثم سلط محمد علي باشا جنوده الأرنؤ ود على خسروا باشا الذي فر إلى دمياط، فقام محمد علي بأسره في 04 يوليو 1803م(51).

بعدما دخل المماليك إلى القاهرة بدعوة من محمد علي باشا، تسلموا مقاليد الحكم، فقاموا بطرد الانكشارية بعدها أصبح الحكم في الظاهر في يدهم، غير أن كل شيء يعمل ب امر من محمد علي، قام كل من البرديسي و محمد علي بتوزيع الصدقات على الفقراء و التقرب من الأهالي و الأعيان و المشايخ(52).

في ظل هذه الظروف ظهر منافس جديد لمحمد علي باشا و هو محمد بيك الألفي أحد زعماء المماليك، الذي عاد من انجلترا حيث طلب المساعدة منها للإستقلال بحكم مصر، فخشي

---

* الأرنؤود: او الأرنؤوط و هو الاباني الجنسية حيث انه لم يستعمل لفظ البان قديما بل الأرنؤوط .انظر : نجوي زغدودي، الاصلاح و التجديد في مصر –محمد علي باشا– 1801,1849 ، رسالة ماستر، اش :عمر عبد الناصر ، قسم التاريخ و الأثار، جامعة 08 ماي 1945 قالمة ، 1433- 1434 هـ، 2012-2013 م، ص9.

(49) محمد فريد بيك، المصدر السابق، ص 390.

(50) محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ص 26.

(51) محمد فريد بيك، المصدر السابق، ص 390.

(52) محمد رفعت، المرجع السابق، ص77.

محمد علي باشا من اتحاد محمد بيك الألفي مع البرديسي، فسعى للتفريق بينهما، فلما أحس الألفي بما يدبره له محمد علي باشا، سافر إلى الصعيد[53].

بعد ذلك ثارالالبانيين و الأرنئوود وطالبوا بمرتباتهم، فأحالهم محمد علي باشا على المماليك، فقام البرديسي بفرض ضرائب جديدة أغضبت الناس، أثارت سخط العلماء و المشايخ من تصرفاته عندها خشي محمد علي أن يكيد له المماليك، مثلما كان يكيد لهم فحاصر البرديسي في مارس 1804م، بعدها فر المماليك و تخلص محمد علي باشا من مشاركتهم له في الحكم، فلم يبقى بينه و بين الحكم سوى خطوة واحدة[54].

لكنه رأى أن الفرصة لم تكن مواتية و غير سانحة، فذلك يهدد سياسته فرأى ضرورة فك أسر خسروا باشا لكي يثبت للشعب أن ليس له أغراض شخصية و إنما يهدف خدمة الشعب المصري، و بذلك يظهر ولائه للباب العالي[55].

ففي ظل هذه الظروف رأى ضرورة إعادة الوالي الشرعي خسروا باشا، لكن الجند الألبان رفضوا ذلك، فرحل بعدها خسروا باشا إلى الأستانة[56].

بذلك حسن مركزه من جهة في نظر الشعب و من جهة أخرى في نظر الباب العالي[57].

بعدها عين الباب العلي خورشيد واليا على مصر و كان ذلك في 1804م[58].

وصل خورشيد باشا إلى مصر في 26 آذار 1804م، و بذلك أصبح واليا شرعيا على مصر[59].

لم تخلوا ولاية خورشيد باشا من المشاكل و الصعوبات و العراقيل فقد واجهته نفس المشاكل التي تعرض لها سابقوه من اكتساح الأمراء للصعيد، تمرد الجند و عبثهم و اعتدائهم على

---

(53) محمد فريد بيك، المصدر السابق، ص 391.

(54) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 77.

(55) نفسه، ص 77.

(56) عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي و الغزو البريطاني، دار التضامن للطباعة و النشر و التوزيع، 1992، ص 120.

(57) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 77.

(58) أحمد عوف، المرجع السابق، ص 112.

(59) عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص 102.

الأرواح و الأموال [60] أسرف الوالي الجديد في ظلم الشعب هذا من جهة، فقد قام بفرض سلسلة من الإجراءات التي أثارت غضب الأهالي من بينها فرض الضرائب الباهضة[61].
هذه الضرائب الجديدة كانت بهدف تسديد رواتب الجند الألبانيين المتأخرة، مما أثار غضب الشعب، فاعتدى الجنود الدلاة الذين استقدمهم خسروا باشا على أهالي مصر، في 01 أيار 1805 اقتحموا المنزل و طردوا السكان و اغتصبوا النساء، و قتلوا و خطفوا الأطفال[62].
استمرت المطالبة بالأموال، و استمر فرض الأتاوات على الحرف و الصناع، فزاد غضب الأهالي على خورشيد باشا، حيث حاول الأخير أن يوسط عمر مكرم، لكي يعود الهدوء، حيث حاول خورشيد باشا أن يضمن مساندة الأهالي. بالرغم من اشتداده في طلب الأموال منهم باستمرار[63].
هذه الضرائب و السلب و النهب الذي قام به الجند دليل على ضعف إدارة هذا الوالي، و أنه غير كفئ لهذا المنصب مثله مثل سابقيه من الحكام [64] فلم يكن أمام الأهالي سوى حل واحد و هو اللجوء إلى محمد علي باشا حيث طلبوا منه أن يقوم بحمايتهم[65].
فعلى الرغم من أن محمد علي باشا أعلن الولاء لخورشيد باشا، إلا أنه كان يقوم بتحريض المشايخ سرا ضد الوالي غير أن الأخير كشف ألاعيب محمد علي[66].
لذلك حاول خورشيد باشا التخلص من محمد علي، فسعى لدى الباب العالي، الذي قرر تعيين محمد علي على ولاية جدة.فقد كان هذا المنصب الذي عين فيه محمد علي باشا و هو ولاية جدة يتبعه منصب والي مصر[67].

(60) شفيق غربال، المرجع السابق، ص 27.
(61) عبد المنعم ضيفي عثمان، تاريخ مصر من العصر الفرعوني الي العصر الحديث ،ط1، دار الرشاد ، القاهرة ، 2006،ص133 .
(62) عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص 102.
(63) جلال يحي، المرجع السابق، ص 606.
(64) عمر الإسكندر و سليم حسين، المرجع السابق، ص 129.
(65) أحمد عوف، المرجع السابق، ص 112.
(66) نفسه، ص 112.
(67) عمر الإسكندر و سليم حسين، المرجع السابق، ص 129.

أظهر محمد علي قبوله بالمنصب غير أنه استغل الظروف و قام بتحريض الجند على مطالبة الوالي بالعلوفة [68].

فخلال المراسم التي أقيمت لتوليه على ولاية جدة و إلباسه فروة المنصب الجديد، خرج يريد الركوب، إلا أن جنده قاموا بإيقافه و ذلك كان بتحريض مسبق منه، و قاموا بمطالبة محمد علي بالعلوفة، فقال لهم ها هو الباشا عندكم، فطالبوه بعدها توجه محمد علي إلى داره بالأزبكية و هو ينثر الذهب في الطريق، فحاصر الجند خورشيد باشا و منعوه من الخروج حتى يدفع المرتبات[69].

قام محمد علي بمحاصرة خورشيد باشا في القلعة في ماي 1805م الموافق لصفر سنة 1220هـ، فأطلق على القلعة المدافع[70].

طال الحصار على القلعة حتى أوشك الجوع و العطش أن يفتك بخورشيد باشا، الذي خشي على نفسه من غضب الشعب و الجنود ففي يوم 12 ماي 1805م اجتمع العلماء و رفعوا شكوى إلى القاضي تضمنت سوء سلوك خورشيد باشا و تمرد قواته، في اليوم الموالي أجمع العلماء على عزل خورشيد باشا من منصبه، لكن قرار العزل لم يعجب خورشيد باشا الذي رفض المثول لرغبة الشعب و قال أن السلطان هو الذي ولاه[71].

تطلب هذا الصراع تدخل العلماء و المشايخ، لحسم الأمر و القضاء على الفوضوى، فخلال هذه الفترة قد ارتفعت أسهم محمد علي وضاعت أسهم خورشيد باشا، فمع ازدياد المظالم ازدادت أهمية و قوة الزعماء و المشايخ لذلك حاول محمد علي الاستفادة من هذه القوة و استغلالها لصالحه لوضع خورشيد باشا أمام الأمر الواقع[72].

استمر الصراع بين خورشيد باشا و الشعب إلى غاية 9 يوليو 1805م، حيث وصل فرمان سلطاني، يعزل خورشيد باشا من منصبه، إلا أن الأخير أبى أن يتنازل عن منصبه، فقام رسول السلطان بتهديده بالتخلي عنه، و إعلان عصيانه على منصبه، فقام رسول السلطان

---

(68) محمد صبري، المرجع السابق، ص 112.

(69) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 42.

(70) عمر الإسكندر و سليم حسين، المرجع السابق، ص 129.

(71) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث1517−1922،المرجع السابق، ص 107،108.

(72) جلال يحي، المرجع السابق، ص 617.

بتهديده بالتخلي عنه، و إعلان عصيانه على الباب العالي، فاستسلم خورشيد باشا و خرج من القلعة في 06 أغسطس 1805م[73].

فتحالف العلماء والمشايخ وألحوا على الباب العالي تولية محمد علي باشا على ولاية مصر، فصدر فرمان التولية في 9 يوليو 1805م[74]

وبذلك تم تعيين محمد ع لي باشا على ولاية مصر، وتقلد ولاية الحكم في 13 مايو سنة 1805م، نزولا عنه رغبة زعماء الشعب وإرادتهم.

بعد أن خرجوا مطالبين بتوليته على مصر، امتنع في البداية ثم قبل بالمنصب بعد أن تعهد بتحقيق العدل، ورد المظالم، وتخفيض الضرائب، وبذلك كانت بداية حكم محمد علي باشا، وبداية حكم الأسرة العلوية لمصر كولاية، ثم خديوية، ثم سلطنة، وفي آخرها مملكة ظلت قائمة الى عام 1953م[75]

تولى محمد علي حكم مصر، وعمره 35 سنة عمل خلالها بجد على حل المشكلات المستعصية، وإخماد الفتن السائدة[76].

كان هذا القسم الأول من سياسة محمد علي التي كانت تهدف الى بلوغ السلطة وتوطيدها، وقد ساعده الحظ بوفاة كل من البرديسي في نوفمبر 1806م والألفي في يناير سنة 1807م، بعدها تولى شاهين بيك زعامة المماليك الا أنه كان ضعيف النفوذ، حيث تفرقوا وتشردوا في البلاد. [77]

فقد أدرك محمد علي بفضل فكر ه الثاقب أن لابد له من انتهاج سياسة جديدة، فالسياسة التي انتهجها سابقوه من جمع الأموال، وقطع للرؤوس يؤدي الى نتيجة واحدة وهي الخراب، وبفضل ذكائه اتبع سياسة كسب بها ود الناس ورضاهم. [78]

---

(73) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث1517−1922،المرجع السابق، ص 109.

(74) محمد صبري، المرجع السابق، ص 32.

(75) أحمد عوف، المرجع السابق، ص 112.

(76) هشام سوادي هشام، المرجع السابق، ص 141.

(77) حسين كفافي، المرجع السابق، ص 108.

(78) شفيق غربال، المرجع السابق، ص 28.

غير أن السياسة التي اتبعها الباشا، لم تعجب انجلترا التي كانت حليفة المماليك فسعت لدى الباب العالي وطلبت عزل محمد علي من منصبه. (79)

فانجلترا كانت تخشى من تعاظم قوة محمد علي فذلك يهدد مصالحها وسياستها، ففي البداية قامت بمساعدة الدولة العثمانية في طرد الحملة الفرنسية من مصر 1801 وجعل مصر منطقة نفوذ لها فقد ضلت محتلة الإسكندرية والسواحل المصرية. (80)

فقد رأت انجلترا أن انتصار محمد علي هو انتصار لفرنسا ونفوذها في مصر، لذلك خشيت من أن يعرقل محمد علي مصالحها. (81)

كان هذا التهديد الأول لحكم علي في مصر أما التهديد الثاني فكان عدم خلوص نية الباب العالي من جهته وظهر ذلك جليا في عدم مغادرة قبطان باشا الإسكندرية بعد تثبيت محمد علي في الولاية. (82)

فالسلطان العثماني أصدر فرمان التولية في ظل ظروف دولية معينة، فقد كان نابليون في حروب كبرى ضد الدول الأوروبية، فهذه المشكلات أجبرت السلطان علي تثبيت محمد علي في ولاية مصر، حتى يركز على التطورات المقبلة، لكن السلطان لم يغفله وكان دائم التربص به. (83)

بعدها صدر فرمان وقرار عزل محمد علي عن ولاية مصر وتعيينه في ولاية سالونيك، غير أن الزعماء والمشايخ وقفوا ضد هذا القرار وكتبوا إلى الباب العالي يلتمسون، إبقاء محمد علي على ولاية مصر، فقبل السلطان، وثبته في 6 نوفمبر 1806م، فلولا الزعامة الشعبية ومناصرتها ورضاها عليه، وتأييدها له، لما تمكن من الثبوت في منصبه، فقد ظلت هذه الزعامة تسانده، وكان لها الفضل الكبير في تثبيت دعائم عرشه في السنوات الأولى لحكمه. (84)

---

(79) محمد فريد بيك، المصدر السابق، ص 391.

(80) الياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 38.

(81) محمد صبري، المرجع السابق، ص 33.

(82) عبد العزيز نوار، تاريخ العرب المعاصر، مصر والعراق، دار النهضة العربية، بيروت، ص 83.

(83) نفسه، ص 83.

(84) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 29.

حاول محمد علي إرضاء الدولة العثمانية، فانتهج سياسة لضمان مكانة تمثلت في تنفيذ الأوامر، ودفع الأموال والموارد. (85)

وأخيرا تمكن من الحصول على الرضى بعد محاربته للمماليك والقضاء عليهم في الصعيد، ومواجهة الحملة الانجليزية وانتصاره عليها فازدادت شعبيته بين الأهالي واعتبر بطلا. (86)

فمحمد علي عرف في بداية حكمه بتودده لهذه الشريحة، ومحبته للعلماء والقادة واعتماده عليهم في إدارة الحكم، ومواجهة مختلف التحديات. (87)

---

(85) نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار الفكر، ناشرون وموزعون، 2001، ص 76.

(86) عمر الاسكندري وسليم حسن، المرجع السابق، ص 130.

(87) نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص 74.

4- سياسة محمد علي في مصر:

انتهج محمد علي باشا سياسة محددة لتوطيد حكمه في مصر لتحقيق أهداف ه،فكان ينبغي عليه أن ينفرد بالحكم لذلك عمل على التخلص من الجند الألبان والزعامة الشعبية والمماليك وأكبر أعدائه الانجليز [88] حيث أن أول ما قامت به انجلترا هو طلب إزاحة محمد علي من ولاية مصر ولم يكن طلبها هذا مجرد كلام بل أخذت أسباب على ذلك هو أن محمد علي لم يأتي بمحض إرادة السلطان ولكن نتيجة ضغط الشعب المصري ضف إلى ذلك أن محمد علي لم يدفع الجزية للسلطان منذ توليه الحكم فذكرت انجلترا أن هذا تمرد من الوالي الجديد [89] ولكن من الأسباب الخفية هو تخوفها من وقوع البلاد فريسة سهلة في يد الفرنسيين لأن محمد علي كان من أكبر الموالين لفرنسا فأخذت تتجه إلى توطيد علاقتها بالمماليك وبالتالي تعطيل حركة محمد علي في مصر. [90]

وبما أن اختيار محمد علي كان لإخماد ثورة شعبية على الوالي خورشيد باشا توجه السلطان بفرمان لعزل محمد علي ونقله إلى سلانيك وتعيين موسى باشا بدله فأرسل الباب العالي أسطول يحمل موسى باشا وفرمان لعزل محمد علي ولكن للمرة الثانية يقف المشايخ والعلماء ضد قرار الباب العالي حيث قاموا بإرسال مكتوب للسلطان يوضحون له رضاهم على محمد علي والتمسوا منهم بقائه كوالي عليهم. [91]

ولكن حقيقة العداء بين الانجليز ومحمد علي وكرههم له هو أنه دخل معهم في مفاوضات استمرت أربعة أشهر أكد فيها محمد علي رغبته في الارتباط بهم بل وطلب وضع نفسه تحت حمايتهم وهذا ما يؤكده تقرير فريزر الذي تولى التفاوض معه والذي أدى بهم إلى تخليهم عن المماليك بسبب عدائه لهم كما تعهد لهم محمد علي بمنع الفرنسيين والأتراك أو أي جيش تابع للدولة أخرى من الدخول إلى الإسكندرية عن طريق البحر [92] فلم يشأ الانجليز

---

(88) عبد المنعم ضيفي، المرجع السابق، ص134.

(89) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 36.

(90) جلال يحي، المرجع السابق، ص 375.

(91) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 70.

(92) محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر القاهرة، 1958، ص 857،856.

الإفصاح عن هذه المعاهدة وذلك لما تحتويه من عداء للدولة العثمانية لمساندتها لحاكم يريد الاستقلال عنها فتريثت في ذلك من أجل مصالحها الكبرى مع دولة الخلافة.(93)

من ناحية أخرى نجد أن المماليك يصرون على قبطان باشا بتعجيل خروج محمد علي من مصر، لكن بعد إصرار المشايخ على بقاء محمد علي قام قبطان باشا بدعوة المماليك للنظر في الأمر لكن لم يأت أحد منهم بسبب الخلاف بينهم فقرر بقاء محمد علي في منصبه.(94)

ورغم المؤامرات والمكائد التي قام بها الانجليز إلا أنها با ءت بالفشل لذلك عمدوا على استعمال القوة لإزاحته من منصبه فأصدرت الحكومة البريطانية أوامر بإرسال حملة عسكرية للإسكندرية (95) وهي الحملة التي ترأسها فريزر وكان الغرض منها احتلال الإسكندرية لمنع نزول الفرنسيين فيها فقط وليس الهدف منها فتح مصر ، وصلت الحملة إلى الإسكندرية في 14 مارس 1807 بعد استيلا ء فريزر على الإسكندرية دون جهود تذكر كان لا يريد القيام بعمليات أخرى إلا أن قواته كانت مؤهلة لذلك فأراد الاستيلاء على منطقة رشيد. (96)

وهنا لابد الإشارة بأن القوات الانجليز عند دخولها للإسكندرية كان عددها حوالي 6000 جندي وبعد استيلائهم على الإسكندرية بدأ الزحف على بقية المناطق مستغلين بذلك انشغال محمد علي بمحاربة المماليك وبوصول هذه الأخبار إليه سارع إلى مفاوضة المماليك لك ي لا يحارب من الجهتين فترك لهم حكم الصعيد لكي يخمد خطر الحملة الانجليزية(97)

في 29 مارس 1807 أرسل فريزر قوة تتألف من 1400 جندي للاستيلاء على منطقة الرشيد لكن الجيش الانجليزي أصيب بهزيمة كبيرة ذلك لأن إمارة الرشيد كانت تحتوي على 700 جندي حيث أمروا بالاعتصام داخل بيوتهم فما إن دخل الجيش الانجليزي

---

(93) زكريا سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ط1، عالم المعرفة، 1991، ص 174.

(94) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 71.

(95) جورجي زيدان، المرجع السابق، ص 154.

(96) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 203.

(97) جاد طه، معلم تاريخ مصر الحديث، دار الفكر العربي، ص 49،50.

المنطقة حتى تمت مهاجمتهم بإطلاق النار من كل صوب فقتل 170 وجرح حوالي 250 وأسر 120 فانسحبت القوات الانجليزية عن طريق أبي قير[98]

عندما علم محمد علي بهذه الأخبار وصل إلى القاهرة في 12 أفريل 1807 وبادر إلى إعداد حملة للقضاء على الحملة البريطانية التي تألفت من 4000 مقاتل من المشاة و 5000 من الفرسان وقامت المعركة التي عرفت بمعركة الحماد في 31 أفريل 1807 نتج عنها قتل 417 من الانجليز ,اسر حوالي 4000 [99] وبعدها سارع فريزر بطلب الصلح من محمد علي باشا على أساس الإجلاء من الإسكندرية مقابل وقف إطلاق النار وإطلاق سراح الأسرى بعد انسحاب قواته[100]

وعلى هذا الأساس بدأ الإجلاء من الإسكندرية في 17 سبتمبر 0807 وفي 19 سبتمبر كان الإجلاء قد تم وبذلك استطاع محمد علي ضم الإسكندرية لحكمه حيث أنها لم تكن خاضعة له في الأساس[101] ووصف الجبرتي هذا قائلا: ...وثغر الإسكندرية الذي كان خارجا عن حكمه حتى فبل مجيء الانجليز ...فان الإسكندرية كانت خارجة عن حكمه فلما حصل مجيء الانجليز وخروجهم صار الثغر في حكمه أيضا[102]

وبهذا نجد أن محمد علي باشا استطاع أن يتخلص من مشاكله الخارجية بقضائه على الانجليز ووضع حد لهذه المشاكل أما في الداخل كانت مشكلته مع المماليك لا تزال قائمة [103] حيث شكل المماليك العائق الأصعب الذي واجه الباشا أثناء توليه السلطة فخبرتهم الطويلة في مصر ولجوئهم إلى الصعيد إضافة إلى سيطرتهم على إيراداتها كلها عوامل ساعدت المماليك على تقوية شوكتهم في مصر فتفادى في بادئ الأمر الصدام معهم[104]

---

(98) محمود عباس أحمد عبد الرحمن، معالم مصر الحديثة والمعاصرة تاريخ وحضارةط 1، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ص 82،83.

(99) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 16.

(100) اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 232.

(101) نفسه، ص 232.

(102) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في الترجمة والأخبار تح= عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، ج 4، ص 113.

(103) جورجي زيدان، المرجع السابق، ص 158.

(104) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، 1516–1922،المرجع السابق، ص 120.

فقد تمكن المماليك من السيطرة على حكم مصر ولكن بقدوم الحملة الفرنسية على مصر اعتبرت بداية نهاية نفوذهم [105] بالإضافة إلى الصلح الذي عقد بين محمد علي مع حليفتهم انجلترا هذه كلها عوامل جعلت أطماعهم تقف بل حتى لم يبقوا مجمعين في منطقة واحدة منهم من قطن بالصعيد ومنهم من اتخذ القاهرة مستقرا له وكان شاهين بك تولى حكمهم بعد وفاة الألفي و قدم ولائه لمحمد علي[106]

رغم أن المماليك كان في موقف ضعف وبعد إبداء ولائهم لمحمد علي باشا لكن تخوفهم منهم لم يقل لأن من طبعهم أن يعملوا على استعادة قوتهم بعد ضعفهم فيعود تهديدهم للحكم والسلطة فكانت هنا الظروف ملائمة لمحمد علي من أجل القضاء عليهم [107] فبتشتت صفوفهم وضعف قوتهم منح الفرصة لمحمد علي بتدبير المكائد للقضاء عليهم وعلى الخطر المحتمل عودته منهم في أي لحظة[108] ووجد السبيل لذلك حيث دعاهم إلى قلعة القاهرة في 1811م للاحتفال بخروج ابنه طوسون على رأس حملة إلى بلاد العرب [109] وهو ما اصطلح عليه العرب والمؤرخون بمذبحة القلعة وقد نفذت هذه المذبحة في الاحتفال الذي قام به الباشا للحملة المتوجهة إلى الحجاز لمحاربة الوهابين فتخوف الباشا من بعث الحملة وإرسال جيشه إلى الخارج وهو لا يزال يخشى خطر المماليك [110]

أقام محمد علي مهرجانا في يوم الجمعة 1 مارس 1811م للاحتفال بإعطاء قيادة الجيش لابنه طوسان ودعى كل رجال الدولة ومن بينهم أمراء المماليك [111] ولما حانت الساعة تحرك الموكب وكان المماليك في أخره فقام الفرسان والمشاة بإحاطة المماليك فلما بلغوا مضيقا لا يمكن التحرك فيه أغلقت الأبواب من كل الجهات وانحصر المماليك بين نيران بنادق الألبانيين [112] فما إن دوت طلقة الدفع حتى وجد المماليك الرصاص يتناولهم من كل

---

(105) زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1ن الدار المسيرة، عمان، 2014، ص201.

(106) جورجي زيدان، المرجع السابق، ص 158.

(107) عبد الرحمن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج4، ص 65.

(108) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي والحارة الاسلامية، ط 7، ج5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986، ص 400.

(109) سلوى العطار، تاريخ مصر الحديث، القاهرة، 1997، ص 68.

(110) جميل بيضون وشحادة الناظور، وعلي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل، 1992، ص 89.

(111) حسين كفافي، المرجع السابق، ص 164.

(112) محمد صبري، المرجع السابق، ص 37.

صوب وهم لم يستطيعوا حتى الدفاع عن أنفسهم وما هي إلا لحظات حتى تكدست في الممر الضيق جثث الرجال والخيل بعضها فوق بعض وهناك من أراد الرجوع وعاود في الممر لكن حركتهم هذه زادتهم ذعرا فرأى المماليك الموت ال غير منظور يحصد صفوفهم فبقي الرصاص يدوي و يتساقط و المماليك يقتلون دون حساب حتى فنو على آخرهم (113) و وصف لنا الجبرتي حادثة القلعة قائلا " انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر في أعلى باب العزل فلما حصل الضرب بين التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقري و وقع منهم أشخاص كثر فنزلوا عن الخيول و اقتحم شاهين بك و سليمان بك الأبواب و الرصاص ينزل عليهم من كل ناحية حيث أصيب شاهين بك و سقط على الأرض و قطع رأسه (114) و هنا تخلص الباشا من المماليك و أصبح الحاكم المطلق لمصر سنة 1811 (115) فلم يبقى أمام الباشا الجديد سوى التخلص من الزعامة الشعبية التي بفضل مساعداتها و الدعم الذي تلقاه من قبل زعمائها و علمائها الذين أوصلوه إلى هذه المكانة (116) و هذه الزعامة كانت بمثابة سلطة لها شأن كبير تراقب أعماله مراقبة مستمرة و كانت بمثابة ملجأ للمظلومين و هذا ما جعل محمد علي باشا قد شعر بفضاضة تدخلات الزعامة الشعبية في أمور الحكم لكن هذه التدخلات كانت شرعية لا غبار عليها فقد بايعوا محمد علي ولاية مصر بشرط أن يكون عادلا هذا ما جعله يميل إلى التخلص من المراقبة التي فرضت عليه.(117)

فللسيد عمر مكرم كان يحسب له ألف حساب فقد ظل يمثل النزاهة والاستقامة، عكس بعض الشيوخ، الذين سلكوا مسالك ملتوية قصد الحصول على المنفعة والإكثار من الأموال، مما أدى إلى ضعف نفسيتهم أمام الوالي محمد علي باشان الذي بدوره أعفاهم من الضرائب، مما زاد في غرورهم وزاد من حدت التنافس بينهم، هذا ما جعل محمد علي باشا

---

(113) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص 96–98.

(114) عبد الرحمن اين حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج 4، ص 206.

(115) أنينل الكساندرو فاندولينا، الامبراطورية العثمانية و علاقاتها الدولية في ثلاثينيات و أربعينيات القرن 19م، تر أنور محمد ابراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 29.

(116) سيد ابن حسن العفاني، أعلام الأقزام في ميزان الإسلام، ج 1، دار ماجد عيري للنشر و التوزيع، السعودية، 2004، ص 33.

(117) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 81.

يتمكن من السيطرة عليهم فقد ضمن ولاءهم بمجرد أن يلوح لهم بمنفعة جديدة أو يهددهم بحرمانهم منها. [118]

فالصراع بين محمد علي باشا وعمر مكرم كان بسبب الضرائب التي أحدثها محمد علي باشا على الأهالي الذين رفعوا مظالمهم إلى عمر مكرم نقيب الأشراف.

كذب محمد علي باشا ما نقل إلى عمر مكرم حول هذه الضرائب إلا أن الأخير سئم من ألاعيب محمد علي ورفض مقابلة الوالي. [119]

حاول كل من الجيشين المهدي والدواخلي إقناع عمر مكرم بالرجوع عن معاداته للباشا، إلا أنه أبى وأصر على موقفه، فسار كل من المهدي والدواخلي إلى مقابلة الباشا الذي أثني عليهما وذم عمر مكرم، حيث سعي من المهدي والدواخلي إلى إزاحة عمر مكرم، فانتهى الاجتماع بالاتفاق على الإيقاع بعمر المكرم، والواقع أن المشايخ لم يهدمو ا مكانة نقيب الأشراف فقط، بل سعوا إلى الإطاحة بأنفسهم تحت تأثير الحقد والحسد اشتد الخلاف بين الطرفين بعد امتناع عمر مكرم على التوقيع على المرسوم الذي أرسله الباشا إلى الأس تانة ومن هنا اشتد حقد الباشا على عمر مكرم، فقرر عزله من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط وبذلك سقطت الزعامة الشعبية التي تراجعت مكانتها بين الناس. [120]

---

(118) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 83،84.

(119) سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص 34.

(120) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 91–98.

الفصل الثاني

مجالات نهضة محمد علي "بناء مصر الحديثة"

1- في المجال الاقتصادي:

لم يكن بإمكان محمد علي بناء دولة حديثة مثلما أراد دون أن يبني لها دعامة اقتصادية، حجة فكان من ضمن متطلعات و خططه بناء دولة قوية من الناحية الاقتصادية فكان لابد له المال الوفير لسد حاجة اليد العاملة و سد مطالب الإدارة و إنشاء الجيوش و تأسيس معاهد للتعليم[121].

قبل التعرض و الكلام عن البناء الاقتصادي بما يحتويه من تجارة و صناعة و زراعة لابد أن نذكر أن محمد علي في بداية حكمه لم يدخل الحكومة في الحركة الاقتصادية الزارع يزرع ما يريد، و الصانع يصنع ما يريد كما أعطى للتاجر حرية تصريف بضاعته اي كان يتبع مبدأ الحرية الاقتصادية و لكنه سرعان ما تخلص من هذه السياسة و إتبع سياسة أخرى هي الاحتكار و التوجيه [122] و ذلك بسبب نظام *الإلتزام الذي كان شائعا في مصر و كان يقضي بأن الملتزم حين كانوا الواسطة بين الفلاحين و حكومة المماليك ثم محمد علي و هذا ما يمنع الباشا من أن يشرف مباشرة على الفلاحين فرفض أن تذهب أموالهم إلى جيوب هؤلاء الملتزمين الذين لا يرغبون في تنفيذ مشروعات كبيرة من أجل الفلاحين و الأرض و الحكومة و هذا ما يمنع و يقف حاجزا أمام التطور الاقتصادي للدولة [123] و بعد إلغائه لنظام الالتزام عن طريق طلب سندات الملكية من الملتزمين فلما قدموها له قرر بطلانها جميعا من هنا أصبحت العلاقة بين الفلاحين و الحكومة مباشرة و أصبحت الحكومة مالكة لجميع أراضي مصر [124].

اعتمد محمد علي في سياسته الاقتصادية لبناء نظام اقتصادي قوي على ثلاث أسس:

---

(121) موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية، المجلد الثاني حركات النهضة و بناء الدو ل الحديثة, بناء الدولة المصرية الحديثة في عصر محمد علي، تأليف، محمد عبد الرحمن بيج، دار الفكر العربي، ص43.

(122) أحمد أحمد الحته، تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، القاهرة، 1951، ص 42.

(*) نظام الإلتزام: حالة قانونية يجب بمقتضاها وجود شخص ملزم هو المدين ،ومصادر الالتزام في القانون المصري هي العقد و الادارك المنفردك و العمل الغير مشروع و يعني الالتزام تحصيل الضرائب في قرية او اكثر بالأتفاق بين الشخص المكلف بذالك وبين الرزنامة نيابة عن الحكومة .انظر سلوى العطار,التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي ,ط1,دار النهضة العربية,القاهرة,1989، ص99،100.

(123) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 93.

(124) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 528.

الأرض و ما يتصل بها من شؤون الملكية و الاحتكار الزراعي بالإضافة إلى الاحتكار التجاري، مما أدى إلى ضرورة الهيمنة على وسائل النقل و طرق التجارة و قيامه بفرض الضرائب حيث قام باحتكار الصناعة لسد حاجة الجيش و الأسطول و ذلك لعدم الاعتماد على البلاد الأجنبية حيث أولى الاهتمام بزراعات جديدة قصد الهدف التجاري مثل زراعة القطن حيث في سنوات قليلة أصبح القطن من أهم المحاصيل الزراعية و كان ايراد محمد علي منه يبلغ 30 مليون فرانك [125]، فبموجب هذا النظام إستطاع الباشا تقسيم المنتجات الزراعية مع الفلاحين بعد إجبارهم على بيع المحاصيل إلى الحكومة بأسعار التي تحددها هذه الأخيرة فتجمع الحكومة المحاصيل و تصدرها إل الخارج مباشرة أو نبيعها إ لى الوكلاء الموجودين في مصر [126].

في 1813 قام الباشا بمسح الأراضي و إعادة توزيعها على الفلاحين حيث يقوم الفلاحين بدفع الضرائب إلى الدولة مباشرة فلئن عجز الفلاح عن خدمة أرضه أو عجز عن دفع الضريبة يحق للدولة أي تسترجع أرضها [127] فقد عمد الباشا على جعل جميع الأراضي ملكا للحكومة إلا بعض الملكيات أراد أن يعوض بها الملتزمين عن الأراضي التي إقتطعها منهم لينتفعوا بها كما أعفاهم من دفع الضرائب [128] رأى الباشا بأن خصوبة الأراضي المصرية لا بد من إستغلالها في الزراعة أكثر فتوجب عليه جلب أنواع من المزروعات الجديدة وإدخالها إلى البلاد و إعتمد في ذلك على أفراد يعرفون كيفية زرعها و إستغلالها[129]

أحضر محمد باشا المختصين من فرنسا في فلاحة وغرس التوت و تربية دود القز و إستخراجه و أحضر مختصين في تربية ديدان الحرير و كان إنتاج دود القز في مصر أربع مرات سنويا بينما في أوروبا مرة واحدة وبذلك جني أرباحا كثيرة و ذكرت بعض

---

(125) صلاح أحمد هريدي ، الحرف و الصناعات في عهد محمد علي ،تق:عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، 1405 هـ - 1985م، ص 142، 143.

(126) الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 181.

(127) جميل بيضون ، المرجع السابق ،ص 85.

(128) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 528.

(129) جورجي زيدان، المرجع السابق ، ص 178.

الإحصاءات أن إجمالي الإستثمارات وصل إلى اكثر من 8 ملايين فرانك [130]، حيث خصص لهذه الزراعة مساحة ثلاثة ألاف فدان و خدمها ألفين من الفلاحين فكان الزرع في مناطق معينة ضم عمت الكثير من المناطق الدهقلية و دمياط ورشيد [131] فأصبح الحرير من المواد الأولية التي ساهمت بذلك في الزراعة.

ترتبط زيادة مواد الدولة من قطاع الإنتاج الزراعي بتحسين إنتاجية هذا القطاع و هو ما إرتبط تاريخيا بتحسين نضم الري و تطويرها و صيانتها فقد أهم الباشا لهذا الجانب لزيادة الإنتاج الزراعي و توفير مياه الري و إنجازاته في هذا المجال كبيرة جدا فقد قام ببناء السدود مثل سد الفرعونية 1806-1809 كما إهتم بحفر الترع و تطهيرها و قد ساعد ت هذه بجهود في تشجيع زراعة المحاصيل الصيفية [132]، فنظام الري المعتمد قبل محمد علي بطريقة الحياض و الذي يعتمد على مياه الفياضانات و هذا ما يجعل الأرض تزرع مرة واحدة في السنة مما جعل المزروعات السائدة في تلك الفترة لا يقتصر إلا على المزروعات الشتوية [133].

أخذ الباشا بإصلاح منشأت الري و تطويرها و إضافة ما هو جديد لها لخدمة هدفه فقام بشق الترع و حفر قنوات و أنشأ القناطر المتعددة مثل الثلاثية و قناطر العبور حتى أصبح عددها 200 قنطرة و هذا من أجل التحكم من مياه النيل [134].

القناطر التي أعدها محمد علي كانت تعرف بالقناطر الخيرية فأصدر بدأ تنفيذها في 1833 و سميت بهذا الإسم لأن الحاكم قصد بها الخير للبلاد و السكان الذين صاروا تحت حكمه [135].

في سنة 1820 أقام الباشا بمشروع شق ترعة المحمودية و التي أتلفت بشكل كبير فتعهد العمل فيها ووضع تصميم حفرها مهندس فرنسي يدعى كوستد إفتتاحها العديد من

(130) صلاح أحمد هريدي, المرجع السابق، ص 210.

(131) محمد صبري، المرجع السابق، ص 49.

(132) إسماعيل سراج الدين، تحديث مصر في عصر محمد علي، أع تح : يونان لبيب رزق و محسن يوسف، الإسكندرية،2007، ص 53، 54.

(133) جاد طه، المرجع السابق، ص 116.

(134) محمود عباس أحمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 72، 73.

(135) موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية، المرجع السابق، ص 53.

الشخصيات [136]، و إشتغل في فتحها حوالي 400.000 من الفلاحين [137] و بلغ طول النزعة نحو 80.252 م و تكلفت حفرها حوالي 300.000 جنيه[138].

بالإضافة إلى إنشاء ديوان الزراعة أشرف على تنظيم العملية الزراعية و خطط لحفر الترع و شق السواقي حيث بني أول سد في مصر و هو سد لحجز مياه النيل فإزدادت مساحة الأراضي الزراعية إلى ضعفين [139]، فقد كان موظفوا الحكومة المتخصصون في الأعمال الزراعية يشرفون عليها جيدا فبذل الجهد في هذا المجال أدى إلى زيادة ضخمة في الإنتاج الزراعي فتضاعف ذلك حوالي 12 مرة خلال نصف قرن من الزمن. [140]

لا تقتصر خطة الباشا في بناء ثروة إقتصادية على المجال الزراعي فقط حيث رأى محمد علي أن الصناعة الحديثة مصدر قوة للدولة سواء على المستوى الاقتصادي أو العسكري أو حتى السياسي فمصر كانت تحتوي على الكثير من المواد الأولية التي تنتجها أرضها و التي تحتاج للصناعة الحديثة من أجل إستغلالها [141].

أراد محمد علي أن يحدث إنقلاب صناعي شامل يكمل اقتصاديات البلاد ليكسب الأمة المصرية حرفة جديدة إضافة للزراعة فتصبح الصناعة زاوية من الزوايا الهامة التي يشاد بها لبناء الإقتصاد القومي حيث بدأ محمد علي بتجربته الصناعية في الخرنفش * و تعتبر هذه التجربة بداية التغيير الإقتصادي فغير هذه المنطقة و شيد فيها المصانع و جلبت لها الماكنات من أوروبا و بنت فيها الطواحين و المخازن و ركبت الماكينات الفرنسية و أول المصانع التي أنشأت فيها مصانع الحرير [142]، و إستعان محمد علي في هذا بعدد من الصناع الفرنسيين و الإيطاليين لتعليم المصريين مختلف الصناعات لأنهم لا يعرفون الآلات

---

(136) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 488.

(137) محمود عباس أحمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 78.

(138) جاد طه، المرجع السابق، ص 115.

(139) نميرطه ياسين، المرجع السابق، ص 78.

(140) حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 137.

(141) موسوعة الثقافة التاريخية الأثرية، المرجع السابق، ص 56.

(*) **الخرنفش:** حي وسط القاهرة و هو عبارة عن بيوت و أزقة ضيقة مشهورة بأنواع القتل و الجرائم المو رعة حيث اخلي في وقت ما من السكان و أصبح وكرا للصوص و السفاحين ف حوله محمد علي إلى حي صناعي يدعم و يشيد إقتصاد الدولة.انظر صلاح احمد هريدي ,المرجع السابق,ص200،201.

(142) حليم عبد الملك، السياسة الإقتصادية في عهد محمد علي بك الكبير، القاهرة، ص 27.

ولا يجيدون إستخدامها لأنهم في الأصل عمال زراعيون عاديون و لكن عندما تعلم هؤلاء أبدعوا في عملهم خاصة الذين يشتغلون في صناعة السفن [143].

أخذ محمد علي كخطوة أولية لتوسيع الصناعة بشراء آلات مختلفة الأنواع خاصة الحربية فأخذ التصنيع بتوسيع بشكل كبير داخل مصر فأنشأت مصانع إنتاج الأسلحة المختلفة من بنادق و المدافع فكانت الصناعة الحربية من أهم منشآت مصر الصناعية [144] فبدأ الباشا بصناعة البارود سنة 1816م حتى بلغ إنتاجه من الجودة ما يضاهي ملح البارود الذي كان يستورد من إنجلترا حيث كان يستعين بالكيميائيين الأوروبيين [145] فواجه الباشا عقبات في ذلك أهمها إيجاد العمال الماهرين فأرسل البعثات لكل من إيطاليا و فرنسا ليتعلموا صناعة الأسلحة هناك و صب المدافع و بعدها كانوا يدربون في مصانع القلعة و يوزعون على المصانع الحربية [146]حيث أقام محمد علي دار صناعة كبرى في القلعة تضم مصانع متنوعة أهمها مصانع الأسلحة و الذخيرة و المدافع و السيوف و السروج و صناعة السبائك الحديدية و النحاسية داخل مصانع الأسلحة [147].

كان القطن مهما لمحمد علي و سياسته حيث كان في حاجة للأموال التي تشترى بها الآلات الحديثة كما كان يدرك خطورة هذا الوضع الإقتصادي و كان يود أن تصنع مصر القطن بدلا من أن يباع للدول الأجنبية خاما و يعود لمصر منسوجا [148]، فقد كان لمصر القدرة العالية لإنتاج القطن و الكتان فإستغل الباشا هذا ليحقق بها الإكتفاء الذاتي للبلاد [149].

لم يهمل محمد علي الصناعات المدنية فقد كان إنشاء الصناعات الخفيفة زيادة للإنتاج المحلي ووسيلة لتوفير المبالغ الطائلة و بهذا تصبح الصناعة مصدرا آخر من مصادر الدخل يغذي الخزينة بالأموال اللازمة للإنفاق على المشروعات كالبناء و التعمير [150]، فالزيادة في التوسع الزراعي و زيادة الصادرات ساهمت في إنشاء مصانع على الطراز الحديث حيث

---

(143) محمد فؤاد شكري و آخرون، بناء دولة مصر محمد علي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948، ص484.
(144) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص250.
(145) عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ج4، ص 256.
(146) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر,المرجع السابق، ص 249.
(147) محمود أحمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 59.
(148) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق، ص 249.
(149) جاد طه، المرجع السابق ، ص 78.
(150) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 193.

إدخلت تحسبات و تجديدات على الصناعات التجهيزية كالقطن بإستخدام آلات أمريكية و إنجليزية اضافة الى مصانع السكر أيضا مما اضطر محمد علي الى التوسع في بناء السفن لنقل المحاصيل إلى مراكز الإستهلاك [151] فالنظام الذي إعتمده الباشا أعطى له السيطرة المطلقة على كافة مجالات الإنتاج في الدولة حيث كان الجميع يعملون للباشا و لا ينتجون إلا ما يريده الباشا فالإنتاج كان يباع للحكومة [152].

شيد محمد علي صرحا عظيما من الصناعة و أقام الكثير من الصناعات الحربية و المدنية و دار الكثير من الآلات شغلت ألاف من العمال المصريين و أرسل الكثير من البعثات كما أتى بالكثير من الأجانب للعمل في شتى الصناعات [153] كمصنع مالطة الذي أطلق عليه إسم فابريقة مالطا ذلك لأن العدد الأكبر من العمال الدين كانوا يشتغلون من مالطة و كان ينتج أقمشة متنوعة ،كان يحتوي على 28 دولاب و 24 عدة[154] كما قام محمد علي ببناء العديد من المصانع التي تساعد في بناء نظام إقتصادي قوي أهمها مصنع النسيج و الأمشاط و الغزل في حي السيدة زينب و مصانع ألواح النحاس بالقلعة التي تستعمل لتبطين السفن فقد أعد لها مصنع تحت إدارة توماس جالوي الإنجليزي كما أن الزجاج الدي كان يصنع قبل الباشا رديئ لا يفي بحاجة القطر فأنشأ مصنع الزجاج بالإسكندرية و جاءت مصنوعاته كمثيلاتها في أوروبا [155].

قامت الحكومة بإنشاء مصانع على شاطئ النيل ببولاق لسد حاجة الجنود من جهة الألبسة فأنشأت مصنع للجوخ وفي نفس الوقت عهد الباشا بإرسال مجموعة من المصريين إلى فرنسا لتعلم الحرف [156].

بالإضافة إلى بناء معمل للسكر سنة 1818 فقد أصبح السكر من مواد الإستهلاك المهمة في الثغور البحرية [157] بالإضافة إلى صناعات النسيج و الصناعات التحويلية إهتم الباشا

(151) علي الجريتلي، تاريخ الصناعة في مصر في نصف الأول من القرن 19، القاهرة، 1952، ص 39.

(152) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 98.

(153) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 235.

(154) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق،ص 500.

(155) عمر طوسون، المصانع و المدارس العربية في عهد محمد علي باشا، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، طبقة إلكترونية جديدة، القاهرة، 2012، ص 18، 19.

(156) موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية، المرجع السابق، ص 60.

(157) عمر طوسون، المصانع و المدارس العربية في عهد محمد علي باشا، المصدر السابق، ص 19.

أيضا بالصناعات المعدنية الخفيفة و هذا ما جعله يستغل اليد العاملة لبناء الدولة و هناك دراسات تاريخية تشير إلى إتساع نطاق العمالة الفنية المدربة بدرجة كبيرة في الصناعات الكبرى و هي في الجدول الآتي: [158]

الصناعة	عدد العمال
-صناعة النسيج و القطن	1500-
-صناعة نسيج الكتان.	30.000-
-صناعة إنتاج صبغة النيل.	9000-
-صناعة إنتاج الطرابيش.	12.000-
-صناعة الزيوت و الصابون.	8000-
-صناعة الحرير.	7000-
-صناعة السكر و معامل التكرير.	5000-

و لقد تزايد عدد العمال في المصانع الجديدة في سنة 1820 و بلغ 30 ألف عامل في فترة 1830- 1835 ولرغبة في تدريب العمال أنشأت الحكومة مدرسة الصنائع في سنة 1830 حتى يكتسب العمال خبرة في مختلف الصناعات و الذي ساعد في هذا النجاح هو رخص المواد الخام. [159]

إستطاع قطاع الزراعة و الصناعة في ظل إحتكار الدولة أن يشكلا قاعدة لدعم عمليات التجارة الخارجية التي حققت مزيدا من العوائد و الدعم و الأرباح لدولة محمد علي [160].

لقد أدى إتساع التجارة في عام 1810 إلى تزويد محمد علي بحوافز جديدة لتصفية الأوضاع التي كانت عليها مصر [161] فبدأ بتوسيع نطاق التجارة إلى الخارج و كانت أول هذه العمليات تصدير القمح من مصر إلى إنجلترا خلال سنوات 1809، 1810، 1811، و

(158) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 64.

(159) حلمي محروس إسماعيل المرجع السابق، ص 144.

(160) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 65.

(161) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516–1922،المرجع السابق، ص 136.

ليس ذلك فقط بل أنه وجد في بلاد العرب و السودان و الشام بعد ضمها إليه أسواقا جديدة لتصدير منتجات مصر سواء المنتجات الزراعية و الصناعية [162].

طمع الباشا أن يتبع سياسة الدول الأوروبية و منهجها لتقوية مصر فعمل بنظام تجاري فقام بإقلال الواردات و عمل على زيادة الصادرات أي جعل الميزان التجاري دائما لصالحه.

(162) حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 156.

2- الإصلاح العسكري:

كانت شخصية محمد علي شخصية طموحة، فمنذ توليه عرش مصر تطلع إلى أن يصبح سلطانا على البلاد ، و يكون إمبراطورية عمادها الأول هو الجيش.[163]

فهو الدعامة الأولى التي إعتمد عليها محمد علي في الإستقلال بمصر و لولاه لما تحقق له ذلك فقد أولاه عناية كبيرة.[164]

من خلال هذه العناية التي أولاها محمد علي لجيشه تمكن من تحقيق طموحاته التي جسدها في إنشاءه لهذا الجيش القوي، فقد كانت كل مشروعاته و مدارسه و مصانعه، و توسعه في الزراعة خدمة لهذا الجيش و تجهيز ه، فوجهة نظر محمد علي كانت تقوم على مبدأ تعزيز المؤسسة من أجل تثبيت حكمه في الداخل و الخارج، فتحقق له ذلك بإنشاء جيش نظامي وفق أسس أوروبية[165].

و يرجع السبب الرئيسي لظهور فكرة تأسيس الجيش النظامي للعديد من الأسباب لعل أهمها هو شخصية محمد علي بإعتبار رجل عسكري إضافة إلى تأثره بنابليون و جيوشه، فقد رأى الباشا تنظيم جيش نابليون بعد نزوله في مصر و قبل التطرق إلى إصلاحات محمد علي في هذا المجال تجدر الإشارة إلى أن الوالي خسروا باشا قد سبق محمد علي حيث حاول تدريب بعض الجنود المماليك على النمط الفرنسي، و تجنيد الضباط الفرنسيين الذين تخلفو في مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية، و قام بتدريبهم على النمط الفرنسي، و قام بتحويل هذه الفرقة إلى حرس شخصي فشدت هذه المحاولات إنتباه محمد علي [166].

اضافة الى ذالك كان الجيش مزيجا من الأجناس أو الجنود الغير نظاميين التي تتميز بالفوضى و التمرد، لذلك سعى محمد علي لإنشاء جيش نظامي يكون جدي را بالدفاع عن مصر، و رفع مكانتها و توسيع حدودها، فقد كانت أولى المحاولات سنة 1815م بعد حرب محمد علي والوهابيين لكنها بائت بالفشل لأن النظام الجديد الذي سعى محمد على الإدخال على

---

(163) عبد المنعم الضيفي عثمان ، المرجع السابق، ص 139.

(164) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 323.

(165) مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني 1516 هـ / 1917م، دار أسامة للنشر، الأردن، ص 183.

(166) خالد فهمي، كل رجال الباشا، محمد علي و جيشه و بناء مصر الحديثة، تر : شريف يونس، دار الشروق، ص 114، 115.

الجيش يعاقب كل متمرد و هو ما أدى إلى تمرد الجند و تذمرهم لذلك سعوا إلى الإنقلاب على محمد لأنهم كانوا يكرهون النظام، فسعوا لخلع محمد علي. لكن ه استطاع القضاءعلى هذه الفتنة[167].

بعدها شرع محمد علي في حشد الجند لكن هذه المرة قرر إستبعاد الارنؤود لميلهم للتمرد و الفوضى و كرههم للنظام فعمد إلى التخلص منهم و كان له ذلك فقام بإرسالهم إلى السودان في 1819م. [168]

إضافة إلى ذلك إمتنع محمد علي عن تجنيد المصريين لكي يتفرغوا للزراعة و لا يثوروا ضده فمحمد علي فكر في عدم إبعادهم أولا عن القطاع الفلاحي لكي لا تبقى الأرض خالية و ثانيا لإعتبار الأرض المصدر الرئيسي للدخل لذلك وجه أنظاره صوب السودان لإمداد جيشه، ففي 1820 قام محمد علي بإرسال حملتين إلى السودان واحدة بقيادة إبنه إسماعيل باشا و الثانية بقيادة زوج إبنته محمد بيك الدفتردار، فعلى الرغم من إختلاف الآراء حول الحملة التي قام محمد علي بإرسالها إلى السودان، الا انه يتضح من خلال خطاباته العسكرية أنه أراد جلب أكبر عدد ممكن من السودانيين إلى مصر ليكون منهم جندا في جيشه الجديد، و دليل ذلك أن إسماعيل باشا لما كتب لوالده يخبره بما جمع من الضرائب، رد عليه بأن يركز أكثر على جمع الرجال على جمع المال[169].

كان محمد علي يهدف إلى تغير تكوين الجيش، الذي كان مختلط و ذلك بالإعتماد على السودانيين و عليه بدأ محمد علي في تشكيل جيشه النظامي الجديد [170].

لكن واجهته مشكلة رئيسية تمثلت في طريقة نقل العبيد إلى مصر فتم نقلهم عبر دفعات، تم إختيار من يصلح للخدمة العسكرية و الباقي بيع كعبيد، ثم تم إرسال من أختير للخدمة العسكرية أسوان حيث بنيت لهم ثكنات خاصة، لكن عدد كبير منهم مات على الطريق بسبب الظروف القاسية، هذا ما جعل الباشا يغير من خطته، فقد رأى أن إعتماده على السودانين في الجيش لن يجدي نفعا، و من جهة أخرى كان الجند الألبان و الأتراك بدورهم لم يستطيعوا التأقلم مع جو السودان ففتكت بهم الأمراض، فلم يبقى أمام الباشا سوى تجنيد

---

(167) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 324، 325.

(168) محمد صبري، المرجع السابق، ص 46.

(169) خالد فهمي، المصدر السابق، ص 124.

(170) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث و المعاصر، 1517- 1922، المرجع السابق، ص 119.

السكان المحليين الذين كانوا ممنوعين من حمل السلاح ولم يألفوا الخدمة العسكرية في العهد العثماني فلم يكن أمام الباشا حل سور المحاولة، و في أقل من عام كان 30 ألف من الفلاحين بالفعل يتدربون في المعسكرات [171].

مع مرور الوقت إعتاد المصريون الحياة العسكرية و بدأوا في التأقلم شيئا فشيئا. ففي سنة 1823 تم تكوين ستة آلاف من المماليك الذين تدربو في أسوان على يد سليمان باشا على النظام الجديد ، بعدها قام الباشا بإرسال هذه الآليات إلى بلاد العرب وبلاد المور [172].

يجدر الإشارة إلى أن هذا الجيش ما كان له أن يكون لولا المدارس التي كانت مهمتها تخريج الضباط، و هو ما لم يهمله محمد علي باشا لذلك إستقدم أساتذة، و أطباء، و صيادلة و معلمين من مختلف الدول الأوروبية فالباشا تمكن من معرفة أساس تقدم الدول الأوروبية، لذلك ركز على التعليم فأنشأ مدرسة للطب و المستشفى العسكري، إضافة إلى مدرسة الطب البيطري، و مدرسة المشاة بالجيزة، و مدرسة قصر العيني الإبتدائية لتأهيل الضباط للاتحاق بالمدارس العليا. [173]

بعدما تمكن الباشا من تحقيق هدفه في تكوين جيش نظامي وفق النمط الأوروبي و على أسس متينة، إتجه إلى بناء الأسطول، حيث ترجع عناية محمد علي باشا بالقوة البحرية ، الى حربه مع الوهابيين، فالبحرية المصرية ترجع بدايتها الأولى إلى سنة 1810م، فبادر إلى إنشاء ما إستطاع من السفن التي كانت النواة الأولى للأسطول [174].

بعده قام الباشا بشراء السفن من الدول الأوروبية، ثم قام بإنشاء المصانع المحلية، و بنى أسطول صغير قي ترسانة بولاق ،و بذلك أنشأ الأسطول الأول على ظفة البحر الأبيض المتوسط، و كان الهدف منه تحقيق أعراض تجارية، كلف بناء هذه القوة البحرية إمكانيات مالية كبيرة[175].

فإنشاء الأسطول البحري لم يكن بالأمر الهين و اليسير، فقد واجهت محمد علي العديد من العقبات، من عدم وجود العمال الماهرين و نقص الموارد الهامة و اللازمة لبناء السفن لذلك

(171) خالد فهمي، المصدر السابق، ص 125، 128 ، 132.

(172) عمر طوسون، المصانع و المدارس العربية في عهد محمد علي باشا,المصدر السابق، ص 117.

(173) نفسه ،ص 23–25.

(174) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 363.

(175) مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 184.

مرت البحرية المصرية بثلاث مراحل رئيسية هي شراء السفن من الدول الأوروبية، ثم التوصية على صناعتها في الموانئ الأوروبية لحسابه الخاص، ثم بنائها في دار الصناعة التي شيدت في الإسكندرية(176).

فالباشا اعتمد في البداية على شراء السفن من مرسيليا و بعض الدول الأوروبية لكن سرعان ما قام بإنشاء أول ترسانة * بحرية في الإسكندرية صنعت فيها أول سفينة مصرية(177).

اعتمد محمد علي على الفرنسيين في صناعة السفن و المراكب في ترسانة بولاق. و قام بأخذ الإذن من السلطان لبناء الترسانة و طلب منه أن يمده ببعض المواد التي لا تتوفر إلا في الدولة العثمانية(178).

و بمرور الوقت صارت ترسانة الإسكندرية أعظم المنشآت الحربية و البحرية، بل أصبحت معهدا لتعليم الشباب المصريين بناء السفن و ترميمها فقد كانوا يوزعون على أقسامها للتخصص بفرع معين(179).

تألف الأسطول المصري من إحدى عشر سفينة كبيرة منها: المحمودية و المنصورية و المحلة الكبرى، و الإسكندرية و سفن أخرى صغيرة أنشأت بأيدي المصريين في ترسانة الإسكندرية برئاسة ديسيريزي الذي اعتمد على المصريين و استغنى عن الأوروبيين(180).

واجهت محمد علي خلال بنائه الأسطول مشكلة نقص الأخشاب التي لم تتوفر في مصر بشكل كبير، لذلك وجه محمد علي أنظاره صوب بلاد الشام، خاصة بعد الأضرار التي لحقت بالأسطول في معركة نافرين لذلك قام محمد علي بضم بلاد الشام، و بعد أن تم له ذلك اتخذ من منطقة الإسكندرية المورد الأساسي للأخشاب لبناء الأسطول البحري و التجاري، فقد كان الأسطول الدعامة الأساسية لقوة مصر الحربية(181).

---

(176) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 162.

(*) ترسانة: هي كلمة مأخوذة في الأصل من دار الصناعة، و هي المكان المخصص لإنشاء و تعمير جميع السفن و المراكب الخاصة بالدولة.نجوى زغدودي ,رسالة ماستر,المرجع السابق,ص36.

(177) جميل خانكي، تاريخ البحرية المصرية، القاهرة، 1948، ص 18.

(178) جميل بيضون و آخرون، المرجع السابق، ص 83.

(179) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 163.

(180) محمد صبري، المرجع السابق، ص 48.

(181) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام 1831-1841، ط2، كتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 21.

كذلك من بين الصعوبات و العراقيل التي واجهت محمد علي في بناءه الأسطول و وقفت ضد إتمام هذا المشروع انتشار مرض الطاعون في ترسانة الإسكندرية سنة 1835م فتسبب ذلك في تعطيل العمل في الترسانة عدة سنوات[182] بالرغم من ذلك تطور أسطول محمد علي شيئا فشيئا بعد أن بدأ بمجرد سفينتين على البحر الأبيض المتوسط، أهداها السلطان العثماني لمحمد علي باشا بعد حربه مع الوهابين، فقام بإنشاء أسطول في البحر الأحمر و أسطول في البحر الأبيض المتوسط، مهمة الأول للحماية لأن السفن كانت قديمة الطراز، أما الدور الذي لعبه الأسطول الثاني فكان لأغراض اقتصادية فقط و نقل الغلال[183].

لم يكتفي محمد علي بذلك فقط بل قام بتحصين الشواطئ فأنشأ الحصون خوفا من الإغارات على البلاد، فأحضر مهندسين من الأجانب فأنشأ المعاقل على السواحل و نصب بها مدافع و عساكر، و بذلك تضاعفت قوة مصر[184].

كما قام بإضافة المنشآت التي تخدم المنشأة العسكرية مثل حصون أسوان التي كانت أول كلية حربية و قد كانت قوة عسكرية قوية و من أهم نقاط الدفاع و الرقابة التي أنشئها محمد علي[185].

مع ازدياد تنامي قوة محمد علي وجيشه البري و البحري، خشي السلطان العثماني من قيام دولة قوية في مصر، تسعى للإطاحة به فسعى لوضع حد لهذه القوة، فلم يكن أمامه حل سوى استخدامها في قمع الحركات المتمردة في شبه الجزيرة العربية و جزيرة المورة و في نفس الوقت كانت هذه الحركات التمردية فرصة لمحمد علي لكي يختبر مدى قوة جيشه الجديد، و في نفس الوقت كانت الفرصة مواتية له للتخلص من الجنود غير النظامين في جيشه[186].

نجح الجيش المصري في الانتصار في معركة المروة و قضى على ثورة الأهالي، و تمكن من ضم جزيرة كريت إلى مصر، و من أبرز المعارك التي خاضها الجيش المصري معركة نزيب سنة 1839 و التي انتصر فيها المصريون على الجيش التركي و كاد أن

---

(182) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 143.

(183) نفسه، ص 134.

(184) عمر الإسكندري و سليم حسن، المرجع السابق، ص 166.

(185) محمود عباس أحمد عيد الرحمن، المرجع السابق، ص 36.

(186) جلال يحي، المرجع السابق، ص 100.

يفنيه و بذلك وصل الجيش المصري إلى أبواب اسطنبول و كاد أن يتسبب في إسقاط الدولة العثمانية لولا تدخل الدول الأوربية.

إضافة إلى ذلك يشكل الأسطول المصري مصدر إزعاج للدول الأوروبية، لذلك سعت للتخلص منه، و لم تهدأ حتى أتيح لها تحطيمه في معركة نافرين 1827م(187).

و من أشهر القادة المصريين في عهد محمد علي الأميرال إسماعيل بيك قاد الأسطول قاد الأسطول في الحرب اليونانية، و الأميرال محرم بيك كان صديق مقرب من محمد علي تولى قيادة الأسطول في 1826م و قاد في الدور الثاني من حرب اليونان، حضر واقعة نافرين و الأميرال عثمان نور الدين باشا تولى قيادة الأسطول في 1828م، ثم الأميرال مصطفى مطوش باشا، شهد معركة نافرين تولى الأسطول في سنة 1833م بعدها قاد الأسطول محمد سعيد باشا ابن محمد علي(188).

بعد انتهاء محمد علي من تنظيم قواته البرية و البحرية و إنشائه للمدارس من مدرسة أسوان التي كانت أولى هذه المدارس بعدها مدرسة قصر العيني سنة 1825م و التي عرفت بالمدرسة التجهيزية الحربية بعدها جاءت مدرسة المشاة بالخانكية ثم بدمياط بعدها بأبي زعبل ثم مدرسة الفرسان بالجيزة و إتخذ قصر مراد بك كثكنة لهذه الفرقة و مدرسة المدفعية بطره فبعد تنظيم المشاة على الطراز الحديث تشكلت هذه الفرقة ثم أسست مدرسة أركان الحرب بالخانكة بعدها مدرسة الموسيقى العسكرية لتعليم الموسيقى العسكرية بعدها رأى محمد علي أن مشروعه العسكري لن يكتمل إلا إذا وجد كفاية من الذخيرة و المصانع حتى لا يصبح تحت رحمة الدول الأوروبية(189)

فأنشئت مصانع الظلمة في 1820 لصناعة الأسلحة و سبك المدافع تحت إشراف "جونون"(190)

كانت تنتج ثلاثة أنواع من الأسلحة و هي البنادق و المدافع و الأسلحة لكل منها قسم خاص مجهز بمهندسين و آلات و صناع و قد استعان محمد علي بخبرات من فرنسا إضافة إلى ذلك

(187) عبد المنعم ضيفي عثمان، المرجع السابق، ص 140.

(188) عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق , 386-388.

(189) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 323، 333، 363، 383.

(190) محمد محمود السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، الإسكندرية، 1927، ص 253.

أسس معمل بنادق في الحوض الموصود عام 1831م كما عمل الباشا على توفير الآلات اللازمة لهذا المصنع(191).

من جهة أخرى تصدى الباشا لجميع الصعوبات في سبيل إيجاد العمال المهرة، فقام بإرسال البعثات إلى إيطاليا و فرنسا و انجلترا لتعلم صناعة الأسلحة و صب المدافع(192).

كما قام محمد علي بتدريب العمال في مصنع القلعة و بعدها قام بتوزيعهم على المصانع الأخرى(193).

كان لهذه المصانع الأثر الكبير في سياسة محمد علي باشا الإصلاحية فقد كانت تزود الجيش و الأسطول بما يحتاج إليه من الأسلحة و الملابس و بذلك حقق محمد علي كفايته من الذخيرة و المدافع و اكتمل مشروعه العسكري(194).

---

(191) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 147.

(192) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر في عصر محمد علي، القاهرة، 1938، ص 389.

(193) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 148.

(194) نفسه، ص 125.

3- النهضة التعليمية:

اتجه محمد علي لبناء دولته العصرية إلي مشروعات علمية بخبرات أوروبية، لذلك كان أهم دعائم دولته العصرية، سياسته التعليمية و التثقيفية الحديثة، فسعى لإقامة إدارة فعالة و مزدهرة يدعمها و يحميها عن طريق إنشاء تعليم عصري يحل محل التعليم التقليدي(195).

لأن التعليم قبل محمد علي كان مقتصرا على الأزهر، الذي لم يقدم لطلابه سوى قشور العلوم، فتوقفت فيه حركة التأليف و الإبداع(196).

هذا ما جعل محمد علي باشا يسلك نفس الطريقة التي اعتمد عليها في تشكيل الجيش و الأسطول، فأقتبس من النظم الأوروبية، و أسس المدارس و أخذ من الحضارة الأوروبية أفضل ما أنتجته من العلوم، فانتشر التعليم العالي و الثانوي و الابتدائي، و أسست المنشآت العلمية من مدارس عليا و إرسال بعثات للخارج، و أول ما بدأ به الباشا هو التعليم العالي الذي اعتبر أساس النهضة العلمية لأن الأمم تنهض به، فنهض الباشا بالأفكار و العلوم في مصر نهضة كبرى(197).

حيث بنى محمد علي باشا سياسته التعليمية وفق أسس حديثة و متينة وفق أبعاد معلومة، كان أولها التعليم وسيلة لتكوين جيش قوي، إضافة إلى ذلك كان الهدف من التعليم تخريج موظفين، كما قامت سياسته التعليمية على الاستعانة بالأجانب و إرسال البعثات العلمية و الاستفادة من الغرب و الأخذ من علومهم و فنونهم، بعدها تم إنشاء المدارس المدنية الحديثة في مصر كانت هذه هي المعالم الرئيسية التي وضعها محمد علي باشا و سار على نهجها لتطبيق سياسته التعليمية التي هدف من خلالها إلى إنشاء تعليم مختلف و عصري(198).

أ- المدارس العليا:

أول ما فكر فيه محمد علي باشا كان إنشاء مدرسة للهندسة سنة 1816م، فقد وجد من الضروري إنشاء مدرسة للمهندسين، للقيام بأعمال العمران(199).

---

(195) منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص 449.

(196) جمال بدوي، محمد علي و أولاده، بناء مصر الحديثة، مكتبة الأسرة ص 34.

(197) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 397.

(198) محمد عفيفي، عبقرية البطل و المكان، تجربة محمد علي باشا، مؤسس الدولة الحديثة، المركز العربي للبحوث و الدراسات، السبت 14 جوان 2014، 11:52، www.acrse.org.

(199) جمال بدوي، المرجع السابق، ص 34.

تدرس فيها الرياضيات و الهندسة و غيرها، كان التعليم بها مجاني، إضافة إلى حصول تلاميذها على رواتب شهرية، كانت هذه المدرسة أولى المدارس العليا في مصر في عهد محمد علي باشا، كما ذكر الجبرتي أن السبب الرئيسي لإنشاء هذه المدرسة يرجع إلى الكفاءات و الابتكار و المواهب التي رآها محمد علي في المصريين(200).

إضافة إليها أنشأ الباشا سنة 1834م مدرسة أخرى للهندسخانة في بولاق تخرج منها العديد من المهندسين، الذين خدموا البلاد، فكان لهم دور في بناء القناطير و السدود و المنشآت العمرانية التي تميز بها عصر محمد علي باشا بعدها اتجه محمد علي باشا إلى الطب فأسس سنة 1837م مدرسة للطب في أبي زعبل كانت أشبه بمستشفى تعليمي و ذلك لوجود المستشفى العسكري بها، تخرج منها ضباط للجيش، و أطباء لخدمة البلاد عامة، فيما بعد تم نقلها إلى قصر العيني مما ساهم في نشر التعليم الطبي في مصر، فيما بعد ألحقت بها مدرسة للصيدلة و أخرى للقابلات و الولادة بعدها تولت المدارس العليا (201).للخيالة و الطب البيطري، و الزراعة، و اللغات و الألسن و الموسيقى و الفنون و الصناعة، و لتنظيم التعليم و الإشراف عليه أنشئت إدارة عامة في 1836م(202).

كان التدريس في هذه المدارس يتم على يد الأجانب لكن مع مرور الوقت بدأ أبناء مصر يدرسون فيها(203).

بعدها أنشأ محمد علي باشا ما يعرف بمدرسة الألسن بالأزبكية سنة 1836م تولى رئاستها، رفاعة رافع الطهطاوي(204).

إضافة إلى رئاستها كان رافع الطهطاوي صاحب فكرة تأسيسها، عرفت في البداية بمدرسة الترجمة، بعدها أطلق عليها مدرسة الألسن(205).

---

(200) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 398، 399.

(201) جمال بدوي، المرجع السابق، ص 35.

(202) محمد صبري، المرجع السابق، ص 56، 57.

(203) جاد طه، المرجع السابق، ص 61.

(204) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 403.

(205) جاد طه، المرجع السابق، ص 62.

أما بقية المدارس الأخرى العليا و الخصوصية، تمثلت في مدرسة المعادن سنة 1834م، و مدرسة المحاسبة سنة 1837م، و أخرى للفنون و الصنائع سنة 1839م، و مدرسة الزراعة[206].

إضافة إلى ذلك أنشأ محمد علي باشا مدارس ثانوية و عدد من المكاتب الابتدائية وصل عددها إلى 67 مكتبا سنة 1836م و يضاف إليها المكاتب القديمة[207]

ب- **المدارس الابتدائية:**

شملت كل مديرية مدرسة خاصة بها و من بين هذه المديريات التي شملت المدارس الابتدائية: البحيرة، و الغربية، المنوفية، الدقهلية، الشرقية، القليوبية، الجيزة، الفيوم، بني سويف، المنيا، أسيوط، جرجا، قنا و إسنا[208].

و بذلك أنشأ الباشا ما يقارب 50 مدرسة ابتدائية في معظم المديريات بلغ عدد طلابها ما يقارب عشرة آلاف تقريبا، من أهم هذه المدارس كانت مدرسة كلية الأمراء، التي كان يتعلم فيها أبناؤه و أبناء الأمراء[209].

فلما تزايد عدد هذه المدارس سواء الخصوصية أو العليا وجد الباشا أنه من الضروري وضع إدارة خاصة لتنظيمها، سميت بديوان المدارس في سنة 1837م كان الهدف الرئيسي من هذا الديوان هو الاستفادة من النوابغ في تنظيم النهضة العلمية في مصر، تولى هذا الديوان تنظيم التعليم في مصر، حيث وضع لائحة تضمنت 27 مادة لنشر التعليم و اعتبر هذا الديوان كمبتكر للتعليم الابتدائي في مصر، فالمدارس الابتدائية معظمها أنشئت بعد سنة 1837م[210].

ج- البعثات العلمية:

أوفد محمد علي باشا بعثات من صناع و ضباط البحرية و البرية، و هندسة عسكرية، و طب و بيطرة، و صيدلة و كيمياء، و صناعة، اتجه البعض إلى دراسة الرياضيات و الفلك، و

---

(206) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 404.

(207) محمد عفيفي، المرجع السابق.

(208) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 405–407.

(209) عمر الإسكندري و سليم حسن، المرجع السابق، ص158.

(210) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 404.

الجغرافيا، من أبرز الشخصيات التي كانت ضمن هذه البعثات التعليمية، رفاعة رافع الطهطاوي، الذي عين على رأس حركة الترجمة في مصر خلال القرن 19م(211).

أرسلت البعثات العلمية إلى أكبر الدول الأوروبية و أعظمها لتلقي مختلف العلوم الغربية لإصلاح شؤون مصر، فعلى الرغم من وقوف الأهالي في وجه هذه البعثات التي اختير فيها أبناءهم لتلقي مختلف العلوم إلا أن ذلك لم يوقف محمد علي باشا عن إرسالها(212).

أولى هذه البعثات التي أوفدتها الحكومة كانت إلى إيطاليا، حيث أرسلت بعثة كبيرة سنة 1813م لدراسة و تعلم الفنون العسكرية و بناء السفن و الطباعة، و علم الهندسة(213).

كان من تلاميذ البعثة الأولى إلى إيطاليا نقولا مسابكي أفندي الذي أرسل لدراسة فن سبك الحروف، و دراسة الطباعة، بعد عود ته إلى مصر تولى إدارة مطبعة بولا ق في سنة 1821م(214).

إضافة إلى إيطاليا كانت انجلترا إحدى الجهات التي أوفد إليها الباشا بعثاته العلمية لتلقي مختلف العلوم في بناء السفن و الملاحة و مناسيب المياه، و صرفه و الميكانيكا.

من خلال ذلك يظهر اهتمام الباشا الجلي بإنهاض بلاده و إشراك أهل البلاد في ذلك، فأخذت هذه البعثات في التزايد نحو أوربا، فالباشا وجد من الضروري عدم الاستمرار في الاعتماد على الأجانب، فمن الحكمة الاعتماد على أهل البلاد لذلك كان يقلد أفراد هذه البعثات على إدارة المصانع و المدارس و غيرها، فاستمر في إرسالها(215).

ففي سنة 1818م أرسل محمد علي باشا بعثة ثانية و لكن هذه المرة إلى فرنس ا، من بين تلاميذ هذه البعثة عثمان نور الدين أفندي، الذي أرسل لدراسة الفنون الحربية و البحرية، بعد عودته إلى مصر سنة 1820م، تولى منصب رئيس العمارة البحرية المصرية، في سنة 1828م، كما كانت فرنسا هي وجهة البعثة الثالثة سنة 1826م، كان أفراد البعثات

---

(211) حسين فوزي، سندباد مصري= جولات في رحاب التاريخ، ط3، دار المعارف، الإسكندرية، ص 107.

(212) عمر الإسكندري و سليم حسن، المرجع السابق، ص 160.

(213) عايض بن حازم الروقي، المرجع السابق، ص 37.

(214) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول و سعيد، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، 1353هـ/1934م، ص 10.

(215) محمد عفيفي، المرجع السابق.

يوزعون على أحسن المدارس الداخلية لمدة 18 شهرا، بعدها يتم جمعهم في مكان واحد لاختبار قدراتهم[216].

أما البعثة الرابعة أو المعروفة بالبعثة الطبية الكبرى كانت سنة 1832م احتوت على 12 تلميذا، نبغ و أبدع معظمهم في نشر العلوم الطبية في مصر سواء في التدريس أو الترجمة تم اختيارهم من مدرسة الطب في أبي زعبل لإكمال دراستهم في باريس، أما خامس هذه البعثات الكبرى كانت سنة 1844م كانت من أكبر و أعظم البعثات التي تم إرسالها إلى فرنسا كان ضمن هذه البعثة أبناء و أحفاد محمد علي باشا[217].

في كل مرة كان عدد الطلاب في تزايد و ارتفاع، بعد عودة أفراد هذه البعثات كان الباشا يعتمد عليهم و يوليهم مناصب كبرى و هامة محل الأجانب[218].

فبفضل هذه البعثات تمكن المصريون من أن ينالوا مناصب هامة، و يصبحوا أعوانا للوالي في الحكومة، التي كانوا بعيدين عنها و مقصين منها بسبب جهلهم[219].

فقد تمكنوا من دراسة مختلف فروع الإدارة و العلوم، و الفنون و التمكن من اللغة الفرنسية التي كانت الموضوع الأول لدراستهم[220].

و بذلك نجح محمد علي باشا في تنوير الشعب المصري بعد قرون الجهل العديدة[221].

كما تجدر الإشارة إلى أن معظم الطلاب الذين أرسلهم الباشا ضمن هذه البعثات العلمية كانوا من أبناء الفلاحين بجانب اعتماده على أبناء الأغنياء الذين احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع، فنبغ الكثير منهم في مختلف العلوم و هذا ما جعلهم يحتلون تلك المناصب المرموقة بعد عودتهم إلى مصر، نذكر منهم، عبده بك و مختار بك، عبده بك كان رئيسا لمجلس الحكومة و مختار بك تولى إدارة المعارف العامة و من بين هذه الشخصيات كذلك

---

(216) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الاول و سعيد، المصدر السابق، ص11-13.

(217) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 413، 414.

(218) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 394.

(219) محمد صبري، المرجع السابق، ص 56.

(220)عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الاول و سعيد، المصدر السابق، ص12.

(221) محمد صبري، المرجع السابق، ص 56.

نذكر حسين بك الذي تولى إدارة البحرية، إضافة إلى العديد من الطلاب الذين أبدعوا و نبغوا في مجالات مختلفة[222].

و بذلك تمكنت البعثات العلمية من تحقيق هدفها الذي سعت إليه و هو توفير موظفين متعلمين يكون لهم دور فعال في بناء دولتهم و الاهتمام بشتى ميادين الحياة[223].

فقد نجح محمد علي باشا في تكوين جيل جديد مكنه من بناء و تشييد مصر الحديثة بفضل أعمالهم و جهودهم و كفاءتهم التي ما كانت أن تكون لولا تغربهم عن وطنهم و عناية و إرشاد من قبل الباشا[224].

فكان لتلك البعثات الأثر الكبير على المجتمع المصري في مختلف النواحي الثقافية فأهم إنجاز حققته هذه البعثات العلمية تمثل في استغناء المجتمع المصري على الأجانب و إحلال أعضاء البعثات محلهم[225].

د- الترجمة:

كما أشرنا سابقا كان هدف الباشا من وراء هذه البعثات العلمية إلى أوروبا هو تكوين جيل جديد من الأساتذة، و العلماء، على النمط الأوروبي، مثقفين ثقافة أوروبية، و قد نجح في تحقيق ذلك، فقد حل بعض أفراد هذه البعثات محل الأجانب، أما الهدف الثاني الذي سعى والي مصر لتجسيده و تحقيقه فتمثل في إعداد مترجمين لترجمة الكتب في جميع العلوم، فأول عمل كلف به المبعوثون هو الترجمة، ليكونوا أداة صالحة لنقل علوم الغرب إلى اللغة العربية، حيث وصل الأمر في بعض الأحيان إلى احتجاز المبعوثين في مكان خاص و عدم السماح لهم بالخروج إلا بعد الانتهاء من ترجمة ما عندهم من الكتب[226].

---

(222)محمد صبري ،مرجع سابق ، ص 55، 56.

(223) سلوى العطار، تاريخ مصر الحديث ، المرجع السابق، ص 301.

(224) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول و سعيد، المصدر السابق، ص 578.

(225) محمد عفيفي، المرجع السابق.

(226) جمال الدين الشيال، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ط7، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ص 394.

و قد كان الأجانب الذين استعان بهم محمد علي باشا في البداية لتثقيف المصريين، دور في ازدهار حركة الترجمة فبفضلهم نشطت حركة الترجمة، و زادت عناية الدولة بالمترجمين و نظرا لقلة عددهم شملتهم الحكومة بعطفها(227).

كان الهدف من حركة الترجمة هو خدمة المدارس و المصانع، و الجيش و الأسطول و الإدارات التي أسسها الباشا، لذلك كانت الكتب تترجم في كل ما يخص هذه العلوم و الفنون من طب بشري، و بيطري، و علوم الرياضيات من حساب و جبر و هندسة و ميكانيك و كل ما يدرس في مدارس الهندسة و المدارس الصناعية و العلوم الحربية إضافة إلى العلوم الاجتماعية أو الأدبية كالتاريخ و الجغرافيا و الفلسفة(228).

كما اعتمد محمد علي باشا على بعض النازلين من السوريين و الغربيين في ترجمة الكتب الإيطالية و الفرنسية إلى اللغة العربية، أو اللغة التركية(229).

فتم ترجمة العديد من المؤلفات العلمية، فتنورت العقول و تفتحت و تخلصت من عصر الظلمات و التنجيم و الخرافات، فأصبحت مصر في عهد محمد علي نقطة إلتقاء بين الشرق و الغرب(230).

مرت حركة الترجمة في عهد محمد علي بثلاث مراحل كان أولها سنة 1830م عندما قرر محمد علي تزويد جيشه النظامي بالعناصر المثقفة و بهذا بدأت حركة الترجمة تأخذ اهتمامه، فأدخل على التعليم تعديلات تتماشى مع الحضارة الأوروبية، أما المرحلة الثانية كانت سنة 1831 إلى 1835م في هذه المرحلة توقف الباشا عن الاستعانة بالأجانب في نهضته العلمية فأرسل لذلك البعثات العلمية إلى أوروبا فلم تقتصر مهمتهم على أخذ العلوم فقط و إنما أمروا بالترجمة و الإسراع في ترجمتها، أما المرحلة الثالثة كانت بإنشاء مدرسة الألسن لتخريج مترجمين لخدمة المدارس الحكومية و تكون بذلك قلما للترجمة(231).

---

(227) جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر، 2012، ص 26.

(228) جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص45.

(229) جاك تاجر، المرجع السابق، ص 26.

(230) محمد صبري، المرجع السابق، ص 57.

(231) جاك تاجر، المرجع السابق، ص 26، 31، 32.

و بذلك طغى طابع الحداثة على المدارس المصرية، فوالي مصر أراد تكوين طبقة متعلمة تعمل على نشر العلم بين طبقات الشعب[232].

فعلى الرغم من أن الباشا لم يتقن القراءة إلا في سن 45 سنة إلا أن ذلك لم يمنعه، فقد كان يطالع مؤلفات الغرب خاصة التي لها علاقة بالإدارة و الحرب و كان يأمر بطبع كل ما يعجبه و يلقى استحسانه، فقد انصب اهتمامه على كل ما فيه فائدة مادية و أدبية[233].

ثم بعد ذلك أخذت حركة الترجمة في التوسع أكثر، مع مدرسة الترجمة التي أنشأها محمد علي و أشرف عليها الأديب رفاعة الطهطاوي، ترجمت ما يقرب 2000 كتاب علمي في الطب، و الرياضيات و الطبيعيات، و التقنيات المختلفة و الفنون العسكرية و القانون، هذا ما أدى إلى توفير الكتب النادرة و اللازمة باللغة العربية في مختلف المدارس العليا فقام الباشا بتخصيص هيئة ترجمة لكل مدرسة[234].

فبعد ببناء الجيش والأسطول والمدارس زادت الحاجة إلى كميات كبيرة من الكتب باللغتين العربية والتركية، فقام بجلبها من تركيا، إلا أن هذا لم يرضي الباشا لقدم هذه الكتب، وعدم مجاراتها للتقدم العلمي الحاصل في أوروبا هذا ما جعله يقوم بإنشاء مطبعة العربية في بولاق. [235]

التي تأسست في سنة 1820م، وبدأت العمل في 1822، حيث كان لابد من تأسيسها لنشر الكتب المترجمة. [236]

كان الباشا حريصا في اختيار كل الكتب التي تطبع، فكان يختار الكتب التي تفيد في نشر العلم والثقافة في مصر وهو الأمر الذي لم يجده في الكتب التركية لذلك جاءته فكرة إنشاء المطبعة التي ساعدته على نشر مختلف العلوم وتحقيق أغراضه، فقد كانت الوسيلة التي

---

(232) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 397.

(233) جاك تاجر، المرجع السابق، ص 25.

(234) إكمال الدين إحسان اوغلي, الدولة العثمانية تاريخ و حضارة، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1919، ص 387، 388.

(235) جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 46.

(236) مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 189.

مكنته من نقل حضارة الغرب إلى مصر عن طريقة الترجمة التي ما كان لها أن تكون لولا طباعة الكتب المترجمة التي وزعت بدورها على الجيش والمدارس. (237)

وذلك كانت المطبعة الأميرية من بين الدعائم التي رفعت بحركة التعليم في هذا العصر بعدما تولى محمد علي باشا إعادة تشغيلها بعد الإهمال الذي طالما بعد خروج الفرنسيين من مصر فقد كانت مجرد مطبعة أقامها نابليون. (238)

من بين الدعائم الأخرى لحركة التعليم في عصر محمد علي باشا ظهور الصحافة المطبوعة وكان ذلك بفضل الأثر الذي تركته البعثات العلمية في المجتمع المصري، فأصدر الباشا أمره بإنشاء الصحيفة الرسمية الوقائع المصرية باللغتين العربية والتركية. (239)

تأسست سنة 1828 ضمت عددا من المترجمين، توسعت بها أعمال الترجمة وفي سنة 1833م قام محمد علي بإصدار نسخة منها باللغة الفرنسية سماها le moniteur Egyptien. (240)

كان الغرض من إنشائها نشر أوامر الباشا وأخبار الإمبراطورية المصرية كلف رفاعة الطهطاوي بترجمة بعض من الصحف الأجنبية. (241)

في سنة 1841 توسعت أعمال الترجمة بها، حيث كان الغرض الرئيسي من نشرها إعلام الناس ونشر الأخبار الحديثة حتى يستفيدوا منها، فلم تكتفي الوقائع بنشر أخبار مصر فحسب بل امتدت للحوادث الخارجية. (242)

كانت هذه المطبعة داعم مكمل للمدارس حيث كانت الحكومة تبيع الكتب المطبوعة بثمن منخفض حتى يسهل انتشارها بين الناس كانت أكثر الكتب تطبع باللغة العربية، وبعضها الأخر يطبع باللغة التركية أو الفارسية. (243)

كل هذه العوامل دعمت النهضة العلمية وحركة التعليم التي قادها محمد علي باشا، حيث وصلت النفقات التي صرفتها الحكومة في مجال التعليم بين سنة 1813م و 1849م ما

---

(237) جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص46،200.

(238) جاد طه، المرجع السابق، ص 65.

(239) محمد عفيفي، المرجع السابق.

(240) جاك تاجر، المرجع السابق، ص 44.

(241) محمد عفيفي، المرجع السابق.

(242) جاك تاجر، المرجع السابق، ص 44.

(243) أحمد عزت عبد الكريم،تاريخ التعليم في مصر في عهد محمد علي, المرجع السابق،ص 261.

يقرب مئتي وثلاثة وعشرون ألف ومائتي وثلاثة وثلاثون جنيه أنفقتها الحكومة على حوالي ثلاثمائة وتسعة عشر طالبا.[244]

وبذلك ازدهر التعليم في مصر و اكتمل تنظيم المناهج في مختلف مراحل التعليم وبذلك دعمت الحركة العلمية وانتشر التعليم في مصر خلال حكم محمد علي باشا.[245]

(244) أنيس النصولي، أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، تح عبد الله الصباغ، ط 1 ابن زيتون، بيروت، ص 74.

(245) أحمد عزت عبد الكريم، ،تاريخ التعليم في مصر في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص 262،263.

4- الإصلاح الإداري و العمراني:

وجه محمد علي باشا عناية كبيرة بتنظيم إدارة البلاد وإعادة هيكلتها خاصة أن الإدارة المصرية عانت من الفوضى والفساد في أواخر العهد المملوكي العثماني فما كان عليه إلا إنشاء إدارة قوية فأعاد تقسيم مصر إداريا[246]

الوظائف الإدارية في عهد الباشا كانت أكثر تعقيدا فالإصلاحات التي أدخلت على الزراعة والنظام المالي الإدارة العسكرية تطلبت تأسيس جهاز حكومي يتماشى مع التطورات. [247]

وقبل الحديث عن الإصلاحات الإدارية في عهد الباشا لابد لنا من الإشارة إلى أن مصر قبل حكم محمد علي كانت عبارة عن 16 إقليم فبادر الباشا إلى تقسيمها [248] حيث يعتبر محمد علي هو الذي أدخل وأستعمل المصطلحات الجديدة بدل القديمة مثل المديرية والدوائر [249].

استهل الباشا التغييرات الإدارية بتقسيم مصر إلى سبع مديريات و أطلق عليها تسميات جديدة كما أطلق لأول مرة في مصر لقب المدير أي رئيس المديرية وهو المسؤول عن تنفيذ الأوامر في مديريته والتي تتمثل في إدارة المصانع والإشراف على المشاريع الهامة [250] وكان يقوم بتنفيذ أوامر الباشا ويشرف على أعمال الري وإرسال الجنود إلى الخدمة العسكرية وكان لكل إدارة ديوان يستمع فيه إلى أراء المجلس وكان يتخذ قراره بعد مشاورتهم. [251]

ألف محمد علي مجلسا للحكومة باسم الديوان المالي وكون في 1824 مجلسا سماه المجلس العالي ويتألف من نظار الدواوين ورؤساء المصالح واثنين من العلماء وعند تأخر هذه المجالس عن أداء واجباتها بالشكل المطلوب أمر بإلغاء معظمها [252] فقد أراد الباشا أن يدرب أهل البلاد كل شؤون الحكم والإدارة حتى يستطيعوا الإطلاع على أعباء الحكومة ويسيروا أموالهم بأنفسهم. [253]

---

(246) موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، المرجع السابق، ص 23.

(247) عبد الرحمان الرافعي، المرجع السابق، ص 570،571.

(248) نفسه، ص 525،526.

(249) جميل بيطون وآخرون، المرجع السابق، ص 83−84.

(250) نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص 77،78.

(251) مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 190،191.

(252) نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص 78.

(253) محمد فؤاد شكري وآخرون، المصدر السابق، ص 8.

فالباشا كان أول من أدخل الدواوين في مصر بإنشائه الديوان العام الذي كان رئيسه لازوغلي باشا وهذا الديوان بمثابة مجلس الوزراء حاليا وكان رئيس الديوان العام نائبا عن الوالي. (254)

في جويلية 1837 أصدر الباشا فرمان عرف بالسيباستينامة والذي يعد من أهم خطوات تنظيم الإدارة والحكومة الداخلية المصرية وقد شمل توزيع الاختصاصات على الدواوين(255) كما تضمن هذا الفرمان إنشاء المجلس العمومية بالأقاليم وإنشاء الجمعية الحقانية وهي بمثابة الجمعية القضائية العليا للبلاد (256) وعلى أثر هذا الفرمان قسم الباشا السلطة إلى 7 دواوين:

ديوان الخديوي وزارة الداخلية يختص بالشرطة والشؤون القضائية أشرف على 19 إدارة منفصلة.

ديوان الإيرادات وزارة المالية والعمل في هذا الديوان ينقسم الى قسمين الأول يختص بحسابات كل المديريات المصرية اضافه إلى جزيرة كريت أما القسم الثاني يختص بإرادات مدينتي مصر والإسكندرية. (257)

ديوان البحر وزاره البحرية أول الدواوين التي أنشأها محمد علي وكانت شؤون هذه البحرية تحت سلطة ناضر البحرية (258) وكان هذا الديوان يرجع النظر إليه في إدارة وتنظيم الأسطول ضبط وربط حركات المخازن والترسانة والخزينة البحرية إلى جانب المستشفيات البحرية(259)

ديوان الجهادية وزارة الحربية سنة 1812 أنشئ ديوان الجهادية حيث يرجع إلى هذا الديوان في إدارة شؤون الجنود وتدريبهم وبناء الثكنات والمستشفيات العسكرية و شراء الأسلحة وكان ديوان الجهادية تحت إشراف الجنود النظامين والغير نظاميين.(260)

---

(254) احمد عوف، المرجع السابق، ص 113،114.

(255) جاد طه، المرجع السابق، ص 48.

(256) أحمد عوف، المرجع السابق، ص 114.

(257) عمرعبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر، 1517–1922، المرجع السابق، ص 143.

(258) مصطفى بركات، المرجع السابق، ص 405.

(259) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 523.

(260) مصطفى بركات، المرجع السابق، ص 407.

ديوان المدارس وزارة التعلم والأشغال العمومية يتولى هذا الديوان أمر المدارس الابتدائية والثانوية والمكتبات والمخازن وكذلك يتولى أمر الجريدة الرسمية الوقائع المصرية.

ديوان التجارة المصرية والأمور الأفرنكية وزارة التجارة والشؤون الخارجية اهتم هذا الديوان بالعلاقات الدبلوماسية وحراسة المخازن الحكومية ويقوم على الجمارك والمبيعات.

ديوان الفاوريقات وزارة الصناعة جميع المصانع والصناعات كانت من اختصاص هذا الديوان. (261)

وبدت هنا نية الباشا الحسنة في محاولة الإصلاح والتقدم والارتقاء بالبلاد وخروجها من العزلة خاصة بعد توزيع الباشا للأعمال على الدواوين والوزارات حيث وضع لكل وزارة رجل كفء قادر على أداء المهمة الموكلة إليه (262) حيث وضع مجلس يقوم بالنظر في شؤون الدولة وكان المجلس برئاسة إبراهيم باشا كان مؤلف من 156 عضو مقسما من 33 من كبار الموظفين والعلماء، 24 من مأموري الأقاليم و 99 من أعيان القطر المصري حيث انعقد المجلس أول مرة في 2 سبتمبر 1829 في قصر إبراهيم باشا. (263)

أثناء إعادة تقسيم محمد علي باشا للبلاد إداريا عمد إلى تقريب عدد من أتباعه المخلصين وسماهم موظفو المهام الخاصة وأعطاهم ثقته وكان أغلبيتهم أقرباء الباشا فكانت مهمتهم تنفيذ أوامر الباشا وكانت مهماتهم تمتاز بالسرية والكتمان فقد كان الباشا يقوم باختيار الأشخاص الأمثل لأن هذا سيساعدهم في تحقيق طموحاتهم وتحقيق مشروعاتهم في المستقبل(264) حيث اتبع الباشا سياسة معينة في تعامله معهم وهي مكافأة المخلصين ومعاقبة الخائنين وكان في كل خطاب معهم يحذرهم من الوقوع في الخطأ (265) وقام الباشا بهذه التغيرات في الوظائف بعد اكتشافه للمفساد الكبيرة التي دخلت الإدارة فاستبعد على أثرها الأتراك وقام بتعين المصريين وبذلك تمكن من تخفيض نفقات إدارته ومن جهة أخرى زاد

(261) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517–1922، المرجع السابق، ص 143،144.

(262) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 119.

(263) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 517.

(264) حلمي أحمد شلبي، الموظفون في مصر في عصر محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1989، ص 35–37.

(265) جاد طه، المرجع السابق، ص 48.

في أعباء الفلاحين واعتمد على المصرين ليحلو محل الأجانب [266] وذلك من خلال تعاونه في بداية حكمه عن طريق إرسال بعثات علمية هندسية مدنيةعسكرية وبعثات في الإدارة والتعليم والزراعة أسفرت نتائجها عن إصلاحات جديدة في الإدارة بعد إلغاء أنظمة قديمة مثل نظام الامتياز[267]

ومن أبرز إصلاحات وتغيرات الباشا في المجال الإداري هو تخليه عن نظام التوريث في الوظائف الحكومية فقد كان الموظفون يبقون في مناصبهم عقب أي صراع يحدث على السلطة فقد اعتمد السلاطين على إسناد الوظائف الحكومية الكبرى لأصدقائهم وأقاربهم فقد كان هناك وظائف ثابتة لا يمكن لأي شخص أن يزيح صاحبها منها فإذا أراد هذا الأخير أن يبيع الوظيفة أو يتنازل عنها فيحق له فرض ضريبة على صاحبها الجديد. [268]

لعب أفراد أسرة الباشا أدوار مهمة في الشؤون الإدارية للبلاد خاصة إبراهيم وعباس حلمي الأول ولكن بانشغال الباشا بحروبه خارج مصر أخذت مظاهر الفساد تجتاح الإدارة ففي 1833 بدأ الباشا يستبعد الأتراك ويضع مكانهم موظفون مصريين [269] فأخذ الباشا يدخل إصلاحاته هنا التي تمثلت في ترك المديرين من الأتراك أما المأمورين فكان يعي نهم من المصريين لأنهم أقل خبرة من الأتراك في الإدارة لأنهم لطالما كانوا يتولون المناصب الكبرى في البلاد فنجد هنا أن الباشا أراد تحقيق المساواة مع الأتراك [270] ولابد لنا الإشارة بأنه لم تكن هناك حدود بين الوظائف المدنية والعسكرية فقد كان الموظفون ينتقلون من الحياة المدنية الى العسكرية والعكس كذلك فمثلا الباشا كان يستعين بأصحاب الرتب العسكرية العالية للإشراف على أمور الزراعة والفلاحة[271].

ومن الأمور المستجدة على الإدارة المصرية هو تنظيم الشرطة في عهد محمد علي باشا حيث اهتم بهذا الأمر بشكل كبير فوضع ضابطا في العاصمة تحت إمرته ضباط منتشرون في

---

(266) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث المعاصر 1517–1922، المرجع السابق، ص 145.
(267) وليد صبحي العريض، تاريخ الدولة العثمانية التاريخ السياسي والإداري، ط1، دار الفكر، 2012، ص 124.
(268) حلمي أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 12،13.
(269) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر1517–1922، المرجع السابق، ص 144،145.
(270) محمد رفعت، المصدر السابق، ص 118.
(271) مصطفى بركات، المرجع السابق، ص 347،348.

أنحاء المدينة لحفظ الأمن والاستقرار [(272)] كانوا يتجولون في أنحاء المدينة حيث وضعوا قانون وهو إلقاء القبض على كل من يتجول خارجا بعد غروب الشمس ولا يحمل في يده مصباحا لذلك كانت شوارع العاصمة خالية أثناء الليل كما كانوا يراقبون الأسواق ويحرسونها[(273)]

لم يغفل الباشا جانب القضاء فقد وضع عقوبات على كل من ينتحل صفة أو وظيفة من الوظائف الحكومية مدنية كانت أم عسكرية دون أن تكون له صفة رسمية من الحكومة أو أذن من الحكومة ويعاقب إذا عمل بمقتضيات إحدى الوظائف فيعاقب بالحبس لمدة 3 أشهر إلى 3 سنوات بالإضافة إلى عقوبات حول النصب والتزوير، كما فرضت عقوبات على من يلبس كسوة رسمية خاصة برتبة أعلى من رتبته[(274)]

هذا إلى جانب العديد من القوانين الأخرى التي سنها الباشا والتي كان أساسها المساواة لتحقق للفرد الأمن والاستقرار والحرية الشخصية وقد عمل الباشا جاهدا لتحقيق ذلك بالرغم من الهفوات الموجودة داخل الإدارة ل جملة من الأقوياء الذين كانوا يستخدمون قوتهم ضد الضعفاء[(275)]

ومن هنا تغير دور الحكومة جذريا فلم تقتصر فقط على جمع الأموال من خلال فرض الضرائب على السكان وإعداد قوافل الحج وإرسال الأموال إلى اسطنبول بل أعطت قيمة للفرد المصري بحيث جعلته يتعامل مع الحكومة مباشرة فقبل التجديد الإداري كان الفلاح لا يعرف الملتزم يلجا إليه لقضاء حاجاته [(276)] أما بعد إعادة هيكلة الجهاز الإداري فأصبحت الحكومة تجند الفرد وتدرسه وبذلك فقدت الهيئات والطوائف المختلفة التي كانت تنظم مصر امتيازاتها التي كانت في يدها وهكذا عظم شأن الحكومة المصرية فأصبحت مصر تملك نظام إداري وقوة عسكرية يمكن الاعتماد عليها بدرجة كبيرة[(277)]

---

(272) محمد صبري، المرجع السابق، ص 39،40.

(273) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 526.

(274) مصطفى بركات، المرجع السابق، ص 348.

(275) الياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 124.

(276) موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، المرجع السابق، ص 21–23.

(277) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق، ص 239–283.

وفي الأخير نستطيع القول أن محمد علي باشا استغل الضعف التي كانت عليه الدولة العثمانية ليجعل من مصر دولة مستقلة وأن يقوم ببناء مصر الحديثة فقد قام الباشا ببناء إدارة قوية بمساعدة فرنسا كما نجح في تحسين الاقتصاد ببعض الإجراءات الجبرية وزاد من البناء وأقام جيش وأسطول بالمقاييس الأوروبية فلم تستطع الدولة العثمانية مع سوء أحوالها من إيقافه(278)

وفي ختام الحديث عن الإصلاحات التي قام بها الباشا لا يمكننا إغفال الجانب العمراني الذي أولاه الباشا جانب من اهتمامه حيث شيد قصر الجوهرة في 1811-1814 وأقيم هذا القصر مكان أبنية مملوكية قديمة ترجع إلى عصر الملك أشرف قايتباني في مكان يشرف على القاهرة وجبل المقطم وقد بني القصر على أساسيات من الحجر والطوب وكانت جدرانه على الطراز العثماني(279)

شيد محمد علي مسجد عرف بمسجد المرمر شرع في بنائه سنة 1830م وهو من الطراز العثماني وسمي بمسجد المرمر لكثرة استخدام حجر المرمر فيه بناه بعد أن جدد قلعة صلاح الدين ليكون في القلعة مسجد للولاة وضع تصميم المسجد المهندس التركي يوسف بوشناق(280).

(278) أكمل الدين أحسان أوغلي ، المرجع السابق، ص 96.

(279) محمود عباس أحمد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 14،15.

(280) علياء عكاشة، العمارة الإسلامية في مصر، بردي للنشر، مصر، 2008، ص 58.



الفصل الثالث

تقييم نهضة محمد علي

1- الصعوبات التي واجهت محمد علي في قيام النهضة :

في أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر كانت مصر أسوء الممتلكات العثمانية فقد أصبح ما يقارب من ثلث الأراضي الزراعية غير صالحة للزراعة وما زاد الحال سوء هو اعتماد الحكومات المتعاقبة على الضرائب الباهظة للإنفاق على شؤون البلاد فجاء محمد علي باشا حاملا معه جملة من الإصلاحات التي بشأنها تطوير مصر إلى الأفضل(281)

ومما لاشك فيه أن هناك الكثير من العقبات التي اعترضت مشروع محمد علي القومي و لقد كان على رأسها أنه غير عربي و أنه لا يحسن اللغة العربية بشكل جيد فكان يعجز عن التعبير بلغة فصيحة في المجامع و المجالس حيث كان لهذا السبب الأثر القوي في الانتقاص من قوة أصالة دعوته إلى النهضة مصر (282)

في تلك الفترة تعود المصريون حياة الكسل و الخمول و التراخي وصاروا لا يؤمنون أن للحياة مثل أعلى فكان لا يعنيهم سوى تحصيل قوت يومهم بالإضافة إلى مع ارضتهم للإصلاحات التي جاء بها الباشا فقد كان كلها معارضات سرية لم يعلنوها خوفا من الباشا حيث علق المعاصر "جسكيه gisquete " عن هذه المعارضة بقوله أنهم لجئوا إلى آلاف الحيل فهم جهلاء يعملون على إبطال أوامر الباشا الإصلاحية فهم يتظاهرون بالطاعة و الخضوع لكن من جهة أخرى يبطلون و يعطلون جميع أوامره إما بجهودهم و أو تنفيذها بالخطأ (283)

واجه الباشا جملة من الصعوبات في إرسال العمال إلى المصانع و هذا يعود إلى عجز المشايخ عن توفير العمال من الفلاحين و يرجعوا هذا إلى تكاسلهم و تباطؤهم و هذا ما جعل بعض الضباط يقومون بعملية جمع العمال بالقوة للعمل في المصانع (284) فاستخدم الباشا الجميع حتى المساجين و المشوهين في الحرب حيث كان يفرض عليهم رقابة شديدة خوفا من وقوع حوادث لا أخلاقية. (285)

---

(281) محمد فؤاد شكري و آخرون، المصدر السابق، ص 5.

(282) قصي الحسين، في الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2004، ص14 .

(283) محمد فؤاد شكري و آخزون، ،المصدر السابق، ص 7.

(284) صلاح أحمد هريدي المرجع السابق، ص 126.

(285) علي الحريِّلي، المرجع السابق، ص 110.

كان الفلاحون الذين يعملون في الحرف يكرهون عملهم بشكل كبير فقد كانوا مرغمين على هذا العمل فطبيعة عملهم و ما بها من قيود و ضألة الأجر وقلة ما لديهم من إمكانيات بجانب الرذائل البشعة التي يتبعونها سببا في انحلال صحتهم فهم لا يزورون زوجاتهم و أولادهم و ليس لديهم وقت حتى لتناول الطعام و القيام بالواجبات الدينية [286]

كما وجد الباشا مشكلة كبيرة في فرار العمال من العمل فكان كل ما أتيحت لهم الفرحة فر الكثير منهم من الورشات من ورشة القيلوبية و مسابك الحديد و كان المشايخ يتسترون عليهم مقابل إعطائهم ورشة [287]

واجه الباشا مشكلة اليد العاملة المدربة تدريب حديثا على الآلات التي إستوردها من أوروبا فقد كان ذلك يستغرق وقت طويلا للتدريب العمال و استقدام الخبراء الأجانب لهذا الفرض و أدي ذلك إلى توقف بعض المصانع فترة طويلة و ترتب عن ذلك خسارة فادحة [288] و ذلك راجع إلى تباطؤ العمال الأجانب في تعليم المصريين الصناعة و سر الآلة ومن الأمور التي أعاقت الباشا في عمله أن بعض الأجانب كانوا عرضة للدسائس و الفتن و على رأسهم سريزي بالإضافة إلى ذلك كان بعض هؤلاء يقومون بسرقة بعض الأجزاء من الآلات و كان من المفترض أن يوقعوا عليها غرامة تعادل ثلاثة أضعاف الثمن إلا أن الباشا كان يتساهل معهم كونهم أجانب وكان يصرف لهم أجورهم و هم في بيوتهم نتيجة انتشار الأمراض و هذا كله لأنه بحاجة إلى خبرتهم.[289]

ومن خلال الدراسات السابقة نجد أن مشكلة الأجور شغلت حيزا كبيرا من انشغالات الباشا فقد كانت معدلات الأجور التي يأخذها العمال المصريين ضئيلة جدا بالنسبة إلى راتب الأجانب و هذا ما أثار فوض عند العمال فنظ ام الأجور لم يكن مقيدا بإنتاج العمال بل يأجرون على اختلاف طوائفهم ولحسابات أخرى فمستوى الأجور في المصانع كان منخفضا بالنسبة إلى مستوى المعيشة في ذلك الوقت مع أنه كان يراعى عند تحديد الأجر للعمال مقدار ما يعولهم من أولاد.[290]

---

(286) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 128.

(287) نفسه، ص 128.

(288) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص 380.

(289) صلاح أحمد هريدي ، المرجع السابق ، ص 132.

(290) نفسه ، ص 132، 133.

فالعمال كانوا يتقاضون جزء من أجورهم سلعة سواء كانت زراعية أم صناعية فالمنتجات الصناعية كان يصعب تصريفها الأمر الذي يؤدي إلى بيع هذه السلع بثمن بخس بالإضافة إلى ما سبق فالعمال كانوا لا يحصلون على أجورهم النقدية في مواعيدها المحددة فكثيرا ما تراكمت أجورهم [291] فالعمال كانوا لا يضطرون أحيانا للتنازل عن جزء من مرتباتهم يصل إلى الربع أحيانا في نظير أن يحصلوا على باقي المرتب ما لا شك فيه أن هذا التأخير كان يثير غضب العمال و يقلل من إقبالهم على العمل في المصانع [292]

كانت الإضاءة من العقبات التي واجهت العمال في المصانع و علي هذا فإن المصانع لم تكن تعمل ليلا نظرا لتكاليف الإنارة الباهظة في ذلك الوقت فكانت المصانع تعمل ثماني ساعات في الشتاء و عشر ساعات في الصيف [293]

تعتبر الترسانة البحرية من أهم منشآت الباشا فلم يكن الطريق سهلا في سبيل إنشائها فقد واجهته الكثير من العقبات التي أدت إلى تعطيل العمل عدة مرات في الترسانة و ذلك سبب الظروف الصحية و انتشار الأوبئة مثل الطاعون الذي أدى إلى توقيف العمل لعدة مرات بسبب ارتفاع معدل وفاة العمال [294]

ولم يخلوا الأمر من حدوث الشغب و الاضطرابات في المصانع و غيرها وذلك نتيجة الدسائس التي قام بها التاجر الأوروبيين بعد إتمام عمل الترسانة و الذي عاد عليهم بالخسارة [295] فقد كان التجار و السماسرة الأوروبيين يختلقون القصص و الأحاديث و التهم الشائعة ضد الباشا حيث كانوا يدبرون المكائد ضده بل تحول ذلك إلى درجة إتلاف بعض السفن قبل دخولها إلى البحر وذلك بقطع حبالها كما حاولوا صرف نظر محمد علي باشا عن مشروع بناء السفن بالإسكندرية خوفا من ضياع مصالحهم فقد زادت دسائسهم لدرجة أنهم كانوا يوردون بعض الأصناف التي تدخل في صناعة السفن مثل الأخشاب و الحديد و النحاس أما بثمن غالي جدا أو بصنف رديء[296]

---

(291) أمين سامي باشا، تقويم النيل و عصر محمد علي، ج2، القاهرة، ص 333– 335.

(292) محمد فؤاد شكري و آخرون، المصدر السابق، ص 484.

(293) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 411.

(294) محمد فؤاد شكري و آخرون، المصدر السابق، ص 143.

(295) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 411.

(296) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 178، 179.

وخلال قيام الباشا بنهضة العلمية واجهته العديد من العراقيل و العقبات التي وقفت في وجه مشروعه الإصلاحي، فعندما بدأ الباشا في البناء المدارس أول مشكلة واجهته تمثلت في تعذر الحصول على مدرسين يجيدون اللغة العربية، فالأساتذة الأجانب الذين درسوا في مصر، كانوا يستعينون بمترجمين لإلقاء الدروس[297].

فمهمة المترجم كانت ترجمة الدروس الأجنبية، التي كانت تعرض على الأزهر لتصحح بعدها تطبع و تنشر [298].

فكانت اللغة أهم هذه العراقيل، حيث أنه كان من المقرر جعل اللغة العربية لغة التعليم، لكن الأساتذة لم يكونوا على علم بتلك اللغة و ذلك أدى إلى اختيار مترجمين لهم يجيدون كلتا اللغتين العربية و الفرنسية. فكان الأستاذ يلقي الدروس بالفرنسية ويترجمها المترجم إلى العربية ويكتبها الطلاب [299]

كما وقف الأهالي في وجه مشروع الباشا الإصلاحي فقد رفضوا التعليم الجديد بحكم اعتيادهم على التعليم الذي يقدمه الأزهر، فامتنعوا عن إرسال أبناءهم للتعلم وفق مناهج حديثة، وهذا ما جعل الباشا يعتمد على القوة في بادئ الأمر، ثم أخد يحببهم في التعليم الجديد و سعي إلى إخراجهم من الواقع الذي ألفوه فقدم لهم الكسوة و الطعام بالإضافة إلى مرتبات شهرية، مما جعل الأهالي يتراجعوا عن رأيهم و يقتنعوا بحسن نية الباشا،فقد رأو ما وصل إليه أولئك الذين تعلموا في الخارج و المناصب التي شغلوها بمجرد عودتهم إلى مصر، كل ذلك كان بفضل التعليم الحديث الذي رفع مكانتهم في المجتمع المصري [300]

أما فيما يخص حركة الترجمة فقد وجد الباشا نفسه أمام مشكلة قلة اليد العاملة مما اضطر إلى إعادة طبع الكتب المترجمة في الأستانة، و مما زاد مصاعب الباشا، عدم إتحاد سياسة واحدة فيما يخص التعليم فأهم مشكلة كانت تعدد لغات التعليم و التدريس بسبب لجوء الحكومة إلى العديد من الدول للحصول على الكتب المدرسة و المدرسين [301]

---

(297) سلوى العطار، تاريخ مصر الحديث،المرجع السابق، ص 301.

(298) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي ،المرجع السابق، ص 57.

(299) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص، 400، 401 .

(300) محمد صبري، المرجع السابق، ص 57.

(301) جاك تاجر، المرجع السابق ، ص 27.

أما العقبة الأخرى تمثلت في اختيار الكتب المناسبة للترجمة، و هل المصريون قادرون على ترجمة هذه الكتب و هل هم على دراية تامة باللغات الأجنبية و أخيرا ما هي الأداة أو الوسيلة الأمثل لنشر هذه الكتب و طباعتها، إلا أن ذلك لم يحبط من عزم محمد علي باشا و لم يدفع باليأس إلى نفسه بل سعي و عمل على التمهيد لكل ذلك، فأرسل البعثات و أحضر الكتب و أنشأ المطبعة [302].

أما على الصعيد الخارجي كان الباشا يعلم بحقيقة المشاورات و المؤامرات التي تعقد بشأن النزاع العثماني المصري و التي تعني في جميع الحالات أن الحرب القائمة ضده لا محالة فأخذ الباشا يستعد لأي ضربات خارجية فقام بإعلان النفير وتعليم الأهالي استخدام السلاح لحفظ الأمن الداخلي[303].

إن الإصلاحات التي قام بها الباشا أثارت خشية بعض الدول الأوروبية التي ت خوفت من سيطرة الباشا على أهم الطرق التجارية فخشيت إنجلترا على تجارتها في الهند لأن الباشا تحكم في شبه جزيرة العرب و البحر الأحمر و خشية روسيا من سيطرته على بلاد الشام و تهديده للقسطنطينية أما فرنسا فهي الوحيدة التي كانت على علاقة ودية مع الباشا و دعمت بقائه مسيطرا على المناطق السابقة[304].

أثبت الباشا أنه شخصية قوية لا بد الحذر منها فرأى السلطان العثماني في ذلك الوقت ضرورة إنهاء الصراع القائم بينه و بين الباشا و أن يتجاوز كل منهما الوساطة الأوروبية و محاولتهما تسوية الأمور بينهما فوافق السلطان أن يعطي الباشا وراثة مصر و حق إدارة سوريا مدى الحياة لكن الباشا أصر على حكم سوريا له و لأسرته مدى الحياة[305].

بعد أن علمت حكومات الدول الأوروبية بما يجري بين الباشا و السلطان صادرت و أرسلت مذكرة مشتركة للباب العالي في 27 جويلية 1839 تبلغه فيها أنها لا تقبل أي صلح بينه و بين الباشا ما لم توافق هذه الحكومات على الصلح[306].

---

(302) جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 70، 71.

(303) وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط2 الأهلية للنشر و التوزيع، لبنان، 2011، ص 244،245.

(304) حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 185.

(305) نبيل ألكسندرو فناد و لينا، المرجع السابق،ص،107.

(306) السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة التوكل بالجماميز، 1999، ص 153.

و ما زاد تفوق الدول الأوروبية و ما جعلهم لا يأتمنون الباشا ه و التصريحات التي أولي بها في 1838 حيث صرح قائلا "...لا يمكنني أن أرضى بترك ما شيدته من المنافع و المرافق الحيوية في مصر طوال هذه السنين مما كلفني أموالا طائلة كدور الصناعة البحرية و الأسطول و البواخر و المصانع والمدارس المتعددة و البعثات و المعاهد العلمية التي أنشأها على النمط الأوروبي لا يمكنني ترك كل هذا للفناء في يد الباب العالي بعد موتي"[(307)]و هذا ما جعل إنجلترا تعرض فكرة خروج الأسطول العثماني الذي أصبح في يد محمد علي من المياه المصرية بالقوة لكن الحكومة الفرنسية اعترضت على هذا و هذا ما خلق خلاف بين الحكومتين و هنا بدأ ميول فرنسا إلى الباشا يتضح[(308)].

كانت هناك مخابرات و اتفاقيات بين الباشا و فرنسا و عندما علم بالمر ستون و وزير خارجية انجلترا لهذا عقد اتفاق مع كل من روسيا و بروسيا و النمسا حتى يعيد محمد علي لحدوده الطبيعية و نجح في ذلك بدليل إمضاء معاهدة 15 يوليو 1840 و صادق مندوب الدولة العثمانية عليها[(309)] حيث احتوت على مجموعة من القوانين جاء على رأسها تعهد السلطان العثماني منع الباشا حكومة مصر و الشام مدى الحياة و إذا رفض الباشا الشروط و القوانين التي جاءت في المعاهدة سيسحب السلطان منه حكومة عكا و يترك له وراثة مصر [(310)].

و من ما سبق نستطيع القول أن الطريق لم يكن سهلا على الباشا في سبيل تحقيق مشروعه القومي إلا أن استطاع بفضل ذكائه و قوة حنكته من أن يتغلب على العقبات التي واجهته على المستوى الداخلي.

---

(307) محمد رفعت، المرجع السابق، ص 175.

(308) نفسه، ص 189–191.

(309) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 462.

(310) السيد فرج، المرجع السابق، ص 154.

2- أثر السياسة الإصلاحية لمحمد علي باشا على مصر

جاء محمد علي باشا إلى مصر كما أشرنا فيما سبق كضابط لتخليص الدولة العثمانية من الحملة الفرنسية، وتخليص مصر من المماليك، كان محمد علي باشا أداة في يد السلطان العثماني لتحقيق أهدافه، فقد ساهم الباشا في إخضاع الوهابين في شبه الجزيرة العربية وكان له دور فعال في حرب الاستقلال اليونانية. (311)

فقد كانت إسطنبول في هذه الفترة تعاني من الضعف وتدهور الأوضاع وهو الأمر الذي لا يسمح لها بالمحافظة على الأجزاء التابعة لها، حيث أن بعض المناطق كانت تسعى للخروج عن سيطرتها، وهذا ما جعل السلطان العثماني يعتمد على محمد علي باشا لإخماد تلك التمردات، في نفس الوقت كانت هذه فرصة محمد علي باشا لتحقيق أهدافه التي رسمها بعد أن أصبح له حكم مصر، وما زاد من شجاعته وسعيه لتحقيق أهدافه أن السلطان العثماني كان يمنحه حكيم المناطق التي يخدم فيها التمردات، وبذلك أخذت قوة محمد علي تزداد شيئا فشيئا. (312)

هذا ما جعله يبادر ويفكر في إصلاح أوضاع مصر، وبذلك كان محمد علي باشا أول والي يدخل نظاما جديدا إلى ولايته ويحقق نجاحا كبيرا. (313)

تمكن الباشا من وضع سياسة تتماشى مع التطورات المختلفة التي مر بها حكمه، فوضع سياسة مالية تتمشى مع مطالب جيشه، وأحدث انقلاب في ملكية الأراضي في مصر، والتي أصبحت تحت سيطرته، ثم قام بتوزيعها على الأهالي للقيام بخدمتها، وحد الضرائب، وقام بتنظيم طريقة جمعها، كما نظم الإدارة المدنية، وحسن من نظام الري، وأهتم به، كما شملت سياسة بناء المصانع الأسلحة والعتاد لجيشه وأسطوله الجديدين إضافة إلى ذلك أدخلت محاصيل جديدة إلى مصر، كما قام الباشا بجلب عدد كبير من التجار الأوروبيين الذين جلبوا معهم كثيرا من الأساليب الغربية التي غيرت من وجه التجارة. (314)

هذه السياسة التي اتبعها الباشا أحدثت تطورا كبيرا وغيرت من الشكل العام للتجارة، حيث أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بأوروبا، وبذلك أسس الباشا دولته الحديثة مستعينا بالحضارة

---

(311)صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 275.

(312) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517م-1922م، المرجع السابق، ص 149.

(313) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 275.

(314) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517م-1922م، المرجع السابق، ص 149-150.

الغربية، فانتعشت التجارة وأنشأت المدن والجيش وبعدها أكد محمد علي باشا على نظام الوراثة لأسرته في حكم مصر.[315]

كما ساعدت سياسته على دخول كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية المصرية الى الأسواق الأوروبية وهذا ما فتح أفاق جديدة للتجارة المصرية .[316]

التي انفتحت على المؤثرات الغربية وأصبحت تسير في فلك الدول الأوروبية.[317]

من جهة أخرى اهتم الباشا بالزراعة حيث بذل جهده وسعى للنهوض بها فقد أنشأ لذلك القناطير على ضفاف نهر النيل وفيما يخص الجانب العسكري فقد أسس الباشا قوة عسكرية كبيرة يحسب لها ألف حساب إضافة إلى ذلك ساهم الباشا في إدخال العلوم والمعارف إلى المجتمع المصري الذي لم يكن على علم بها من قبل من خلال إرساله للبعثات العلمية إلى أوروبا وتشييده للمدارس والمعاهد سياسة الباشا جعلت من مصر أول دولة عربية تسعى لإدخال المدنية الحديثة وهذا ما جعلها تكون السباقة كذلك للخروج من سيطرة وطاعة الدولة العثمانية، فقد جعل الباشا من مصر أقوى دولة في الشرق الأوسط في بداية القرن التاسع عشر.[318]

فالباشا لم يهمل أي جانب يساهم في بناء دولته الحديثة إلا وقام بإصلاحه فإلى جانب الإصلاحات السابقة قام بالاهتمام بالنقل والمواصلات من أجل نقل المحاصيل وتصديرها ولكي يكون له ذلك أسس في سنة 1845 شركة الملاحة وفي سنة 1846 أنشأ ملاحة النيل، وإضافة إلى الطريق البري بين السويس والإسكندرية.[319]

كانت هذه الجوانب الايجابية لسياسة محمد علي باشا فيمصر أما الجوانب السلبية فقد تمثلت في أن إصلاحات محمد علي باشا في مصر كانت مصالحه الخاصة وأهدافه حيث كان من الفروض بالباشا أن يساهم في الدفاع عن الدولة العثمانية إلا أنه ساهم في الإطاحة بها ووضع حد لها فقد اعتبر الباشا مصر ملكا خاصا به يتصرف فيه كما يشاء حيث أن صراعه مع الدولة العثمانية لم يكن

---

(315) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 277.

(316) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516م– 1922م، المرجع السابق، ص 323.

(317) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 277.

(318) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 409.

(319) مفيد الزيدي، المرجع السابق، 187.

لمجرد الاستقلال بمصر، بل كان لكي يضمن لنفسه ولأسرته ملك وراثي من بعده، وهذا ما نجح في الوصول إليه. (320)

وبذلك جعل محمد علي انهيار الإمبراطورية العثمانية أمر مؤكد من خلال استغلاله لإصلاحاته لتحقيق أغراضه الخاصة بدلا من الدفاع عن الدولة العثمانية. (321)

ومن بين سلبيات السياسة التي انتهجها الباشا نظام الاحتكار الذي أثار معرضة شديدة من قبل الدول الأوروبية وأبرزها انجلترا التي سعت لدى الباب العالي ليطلب من الوالي محمد علي باشا إيقاف هذا النظام، الذي تسبب في أضرار مست تجارتها، وذلك حسب نظام الامتيازات الممنوحة لها والذي يضمن لها التجارة في الدولة العثمانية وممتلكاتها التي كانت مصر من بينها وقد استندت انجلترا في طلبها على المادة الثالثة والخمسون من مواد الامتيازات التي تخولها شراء وتصدير ما تريده دون أن يعترض أحد نشاطها التجاري. (322)

كما أدى هذا النظام إلى انعدام المبادلات التجارية في مصر حيث أن التجار الأجانب لم يجدوا متعاملين سوى الباشا ووكلائه، إضافة إلى احتكار الباشا إلى محاصيل كل من السودان وسورية وقيامه بفرض ضرائب باهظة ومرتفعة عليها، هذا ما جعل الدول الأوروبية تعترض وجعلت بريطانيا تضغط على الباب العالي الذي منحها حق شراء المحاصيل الزراعية والصناعية وإبطال الاحتكار للمحاصيل ومعاقبة المخالفين كل ذلك كان بموجب معاهدة "بلطة ليمان" سنة 1838 التي وقعت بين الباب العالي وبريطانيا. (323)

فبعدما أخرج الباشا مصر من دائرة الصراعات حول السلطة بعد أن انفرد بحكم مصر. (324) أدخلها في صراع أخر، فبعد توقيع معاهدة بلطة ليمان مع إنجلترا، جعلت هذه المعاهدة كل من النمسا وسردينيا والسويد والنرويج وهولندا، الدنمارك تسعى للحصول على معاهدة مماثلة لمعاهدة إنجلترا هذا ما فتح المجال أمام الدول الأوروبية للتدخل في قرارات الباشا بطريقة غير مباشرة بإلغاء الباب العالي لقرار اتخذه في مصر الذي كانت تحت سيطرته. (325)

---

(320) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517م–1922م، المرجع السابق، ص 149.

(321) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 276.

(322) محمد فؤاد شكري وآخرون، المصدر السابق، ص 58.

(323) مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 187،186.

(324) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 409.

(325) محمد فؤاد شكري وآخرون، المصدر السابق، ص 59.

ومن سلبيات اعتماد الباشا على الأسواق الأوروبية وتوجيه التجارة المصرية صوب الغرب، جعل مصر أكثر عرضة للتدخل الأجنبي في الشؤون الداخلة للبلاد، وذلك طبقا لمعاهدات الامتيازات الخارجية. (326)

كما أدى تطبيق نظام الاحتكار على الصناعات إلى تقيد حركة الصناع وتعريضهم لظلم من قبل الإدارة، وحرمانهم من الأرباح، هذا ما أدى الى تراجع همتهم، وعدم إقبالهم على العمل، فاختفت و إضمحلت بعض الصناعات الصغيرة، هذا أدى إلى عدم نمو الدخل الفردي والاستثمار وارتفاع أسعار المنتوجات الصناعية مما أدى بدوره إلى ارتفاع في نفقات المعيشة. (327)

أدت هذه السياسة الى عرقلة النمو الصناعي، وفشله، فأغلقت المصانع وعاد العمال إلى حقولهم وقراهم، إضافة إلى فشل الباشا في تحسين أوضاع الفلاحين، بسبب كثرة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وزيادة التدخل الأجنبي كل ذلك لم يرغم الباشا على التخلي عن احتكاراته، بل أخذ يرسى دعائم دولته الحديثة. (328)

ومن الآثار السلبية الأخرى لنظام الاحتكار، عدم وجود أو قيام طبقة العمال لأن محمد علي باشا كان بيده كل شيء، فقد كان صاحب الرأس مال بيده مصير العمال فقد كان المتحكم بمصيرهم وحياتهم وجهدهم إضافة إلى عدم دفع أجورهم بانتظام، وبهذا لم تتوفر الشروط اللازمة لقيام هذه الطبقة التي كانت تنتهز كل الفرص للفرار وعدم الإقبال على العمل كما أن الباشا كان يعتمد على سياسة العنف في جمع العمال وإحضارهم فأسلوبه كان أشبه بالتجنيد الصناعي. (329)

وكان من بين نتائج اعتماده على الأوروبيين ارتفاع عددهم خاصة بعد إرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا والاعتماد عليهم في التدريس في المدارس المصرية، كما شغل عدد كبير منهم مختلف الوظائف الإدارية. (330)

إضافة إلى ذلك امتدت سياسة الباشا السلبية إلى جمع الضرائب التي أرهقت كاهل الأهالي، فقد كان يقوم بجمعها بطرق مختلفة، فنجد مثلا ضريبة ال ميري التي فرضت على الأراضي

---

(326) هيلين أن ريفلين، الاقتصاد والإدارة في مستهل القرن التاسع عشر، تر أحمد عبد الرحيم مصطفى، ومصطفى الحسين، القاهرة، 1978، ص 361.

(327) أحمد أحمد الحتة، المرجع السابق، ص 106، 107.

(328) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 282،281.

(329) أمين عز الدين، تاريخ الطبقة الحاكمة في مصر منذ نشأتها حتى سنة 1919، القاهرة 1967، ص 36،35.

(330) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 281.

المزروعة، كانت في بداية الأمر تأخذ على الأراضي المزروعة وغير المزروعة، ثم بعد ذلك أصبحت تأخذ فقط على الأراضي التي يصل إليها الماء، ويقوم أصحابها بزراعتها إضافة إلى هذه الضريبة كانت هناك ضريبة تفرض على الذكور الذين وصلوا إلى سن المراهقة وضريبة الحرف الصغري التي فرضت على الحلاقين والخبازين مقابلة مزاولة هذه المهن وغيرها من الحرف. [331]

أيضا حرم الباشا على طبقة رجال الدين الاستقلال فقد كانت هذه الطبقة الوحيدة التي تخفف من مظالم وغلو الطبقة الحاكمة، وتحمي الشعب المصري من طغيان الطبقة الحاكمة، فقام الباشا بقطع الموارد المالية على هذه المؤسسات الدينية. [332]

وكان لسياسة الباشا التوسعية التي أراد من خلالها بناء دولة موحدة تكون مصر حجر الأساس لها، فقد كان مدركا لأهمية شبه الجزيرة العربية والحجاز والسودان وبلاد الشام. [333]

هذا ما جعل السلطان العثماني يسعى لوضع حد لمحمد علي باشا كما وجدت الدولة الأوروبية فيها سببا لكي تتدخل في الشؤون الداخلية لمصر، وقد قادت إنجلترا هذه السياسة حيث جاءت الفرصة المواتية لها للقضاء على الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبذلك كان النزاع القائم بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا النقطة التي استغلتها الدول الأوروبية حتى تحقق ما كانت تسعى إليه، وهو اقتسام مناطق النفوذ في الدولة العثمانية. [334]

فإنجلترا في الأساس كانت تخشى على نفوذها في الهند، خاصة بعد توسعات الباشا في الحجاز، حيث أصبحت مصر تسيطر على الطرق المؤدية الى الهند والبحر الأحمر، والمحيط الهندي، وتتحكم بها إضافة إلى ذلك التحكم في الطريق البري نحو الخليج العربي، هذا ما زاد من مخاوف إنجلترا التي خشيت من حرمتنها من تجارة الهند ويضاف الى ذلك أن إصلاحات الباشا لم تدم طويلا، فبعدما أثقل كاهل الأهالي بالضرائب وكثرة الاحتكارات التي مارستها الحكومة المصرية على الموارد الغذائية والصناعات، إضافة إلى ظهور ضرائب على الرجال كما أشرنا سابقا، كلها عوامل ساهمت في ظهور العديد من الثورات التي قامت ضد الحكم المصري. [335]

---

(331) محمد فؤاد شكري و آخرون، المصدر السابق، ص 76.

(332) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 281.

(333) مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 192.

(334) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث ،المرجع السابق، ص 270،271.

(335) مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 193، 198.

فعلى الرغم من أن الباشا كان أول والي عثماني يمارس نفوذا حقيقيا على ولايته ونجاحه في إنشاء قوة عسكرية دعمت مركزه أمام منافسيه وأمام الباب العالي ومع ذلك بدأت قوته تتلاشى.
(336)

فبعدما استطاع تحقيق مطامعه الخاصة المتمثلة أساسا في الوصول الى حكم مصر وجعله وراثيا له و لأسرته من بعده لكنه في نفس الوقت كان يمهد للتدخل الأجنبي في شؤون مصر والذي انتهى في الأخير بالاحتلال البريطاني لمصر سنة 1882م. (337)

(336) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 283.
(337) نفسه، ص 283.

3- رؤى المفكرين العرب في نهضة محمد علي باشا

اختلفت وجهات النظر بشأن مشروع محمد علي باشا الإصلاحي، بين مدح وتأييد، وبين رفض واستنكار لبعض أعماله، وفيما يلي بعض الآراء المختلفة لجملة من المفكرين.

يقول الدكتور عمارة محمد أن مصر عرفت عصر التنوير والنهضة في ظل الدولة التي أسسها محمد علي باشا فهو رائد الدولة المصرية الحديثة فقد أخرجها من الظلمات الى النور، فقد تمكن من تحقيق التقدم في مختلف المجالات بفضل جهوده في التربية وإرسال البعثات وتنظيم الجيش وفتح المدارس المدنية. (338)

حيث أن معظم الكتابات تعترف بأن الباشا هو واضع النظام الجديد، والعادل للدولة المصرية حيث أخرجها من الصراع الذي كان قائما بين الدولة العثمانية والمماليك، فمحمد علي باشا أنقذ بذلك مصر من تعسف الجنود العثمانيين وجورهم وثوراتهم الكثيرة وإغارتهم على البلاد كلما تأخر دفع مرتباتهم لذلك فمحمد علي باشا يستحق كل الثناء لنجاحه في إقامة نظام جديد في مصر. (339)

فهو واضع النهضة العلمية، والاقتصادية وقد نجح في تحقيق الاستقلال القومي ووضع دعائمه التي تحميه ولو أن خلفاؤه من بعده اتبعوا نهج محمد علي الإصلاح، وحذو حذوه وأتبعوا سياسته لما انهارت سلطتهم وتراجعت في عهدهم. (340)

أما فيما يخص السياسة التي اتبعها محمد علي باشا في حكم ولاية مصر، فمعظم الكتابات تتفق على أن سلطته كانت مطلقة لكن حكمه لم يكن استبدادي. (341

أما فؤاد شكري، فقد رأى أن نهضة محمد علي باشا كانت إعلاء للبلاد و الأفراد في المجتمع المصري، حيث يعتبر فؤاد شكري أن الاستئثار بالسلطة من مميزات الحكومة المستنيرة، و هذا ما قام به محمد علي باشا، فقد غلبت المركزية على حكمه، مما جعله يصبح مصدر السلطة العليا في البلاد، سعى محمد علي باشا من خلال هذه السلطة إلى تدريب أفراد حكومته على تحمل المسؤولية

---

(338) سليمان بن صالح الخرابشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات الدكتور محمد عمارة، دار الجواب، 1413 هـ – 1993م، ص 664،665.

(339) عمر الإسكندري وسليم حسن، المرجع السابق، ص 147–149.

(340) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 660.

(341) محمد صبري، المرجع السابق، ص 36.

فقد كان يطالبهم بتبادل الآراء و سمح لهم بقدر محدود من الحرية، و بذلك اعتبر فؤاد شكري محمد علي باشا الوالد المرشد و الحاكم الصالح الذي يتوعد بالعقوبة حينا و يعد بالمكافأة حينا آخر [342].

و اعتبره مصطفى كامل أنه رجل له ذكاء نادر، و فكر حاد، و نظر صائب، و بصيرة صادقة، هذه الصفات جعلته يفوق نابليون رأيا و عملا، كان محبا لتوسيع نطاق حكمه و تولى إمارة مصر و بلاد الشام، و هذا الأمر لا يعني أنه كان يسعى للإطاحة بالدولة العثمانية، فرسائله إلى ملك فرنسا لويس فيليب التي دونت في المستندات الرسمية، دليل يثبت أن الباشا كان يسعى لضم بلاد الشام فقط، فلو كان يعلم بالنتائج السلبية التي أدت إلى وقوع خلاف بينه و بين الدولة العثمانية أثناء دخوله بلاد الشام، لتراجع عن رغبته في ضمها، فمحمد علي ندم على هذا الخلاف طويلا و تحسر عليه[343].

و من بين إعماله التي عرضته للنقد من قبل المفكرين مذبحة القلعة التي تعددت فيها الآراء، فالإخوة قطاوي اعتبرها ردة فعل مشروعة و دفاع عن النفس، و قد كانت الوسيلة الوحيدة التي أمام محمد علي باشا للتخلص من هذه الطائفة التي كانت تثير الشغب في البلاد[344].

أما شفيق غربال فاكتفى بالقول أن هذه الحادثة كانت نهاية السنوات الأولى لحكم محمد علي باشا، و اعتبرها سنوات كفاح و عنف. فقد كانت سلسلة طويلة من المعارك و الآلام حسب محمد علي باشا الذي قال بأن الظروف هي التي دفعته إليها[345].

و الرافعي أعرب عن استياءه منها، و اعتبرها نقطة سوداء في تاريخ حكم محمد علي باشا، لأنه غدر بالمماليك فكان الأصح به أن يقوم بمحاربتهم وجها لوجه في ميدان القتال، فقد رفض مبرر محمد علي للقيام بهذه المذبحة ألا وهو تآمر المماليك عليه، وصف الرافعي مذبحة القلعة بقوله أنها قضت على روح الديمقراطية و أحلت محلها الرهبة من الحكام[346].

---

(342) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 4-18.

(343) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، ص 70،71.

(344) رينيه و جورج قطاوي، محمد علي و أوروبا، دار الكتب و الوثائق القومية، الجمعية المصرية، ص 206.

(345) محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ص 66،67.

(346) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 118، 121.

فيما يخص مشروعه الإصلاحي في مجال التعليم، فقد كان محل تقدير الكتاب حيث اعتبر عمر الإسكندري و سليم حسن أن النهضة العلمية محاربة لجهل الأمة و العادات الممقوتة[347].

فرأى الرافعي أن البعثات العلمية تدل على عبقرية محمد علي باشا في نقا معارف أوروبا إلى مصر، في وقت لم يفكر فيه أي حاكم في هذا الأمر، حتى السلطان العثماني نفسه لم يفكر فيه[348].

و رأى الأخوان قطاوي في هذا الجانب مدى تسامح الإسلام في استيعا ب حضارة الغرب و فنونها بدون حساسية[349].

فيما يخص الانتقادات التي وجهت له، فقد رأى بعض المفكرين و المؤرخين أن الدافع الذي حرك محمد علي هو الطموح الشخصي، حيث كانت له رغبة في إحياء إمبراطورية عربية، و تنمية المشروع القومي، ينبوعان من رغبته في كسب إمبراطورية خاصة به، حيث رأى المؤرخون أن المشروع القومي أخفق، و كان السبب الضعف الأصيل في اللغة العربية و العرق[350].

و ذهب بعض المؤرخين إلى القول أن محمد علي باشا من خلال مشروعه الإصلاحي كان يسعى إلى السيطرة على زمام الخلافة الإسلامية، و الجلوس محل آل عثمان. كما أنه طمع في ضم بلاد الشام و الاستيلاء عليها و جعلها تحت حكمه مستغلا انشغال السلطان العثماني محمود الثاني بتنظيم جيشه[351].

و يرى سليمان بن صالح الخرابشي، أن محمد علي باشا غدر بالمسلمين و يقصد هنا مذبحة القلعة، إضافة إلى غدره بالعلماء و المشايخ الذين وثقوا فيه، و كانوا السبب في وصوله إلى حكم مصر من بينهم عمر مكرم و من معه، و أن تمجيد نهضته أمر مبالغ فيه[352].

و قال عنه الشيخ محمد قطب أنه سيء السمعة معروف بالقسوة محب للعظمة لحد الجنون، سعت له فرنسا لدى الباب العالي لكي يتولى ولاية مصر، و يكون الأداة التي تنفذ بها مصالحها، أنشأ له

(347) عمر الإسكندري و سليم حسن، المرجع السابق، ص 148.

(348) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 476، 477.

(349) رينيه و جورج قطاوي، المرجع السابق، ص 21.

(350) قصي الحسين، المرجع السابق، ص 14.

(351) مصطفى كامل، المرجع السابق، ص 71.

(352) سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص 48.

جيش مدرب أحسن تدريب، و مجهز بأحدث الوسائل و الأسلحة الموجودة في ذلك الوقت، أسس أسطولا بحريا على أحدث طراز، إضافة إلى ترسانة الإسكندرية و غيرها من الأعمال التي كان الهدف منها تنفيذ المشروع الصليبي، و ليس حبا في مصر، و تنفيذ مخططات فرنسا التي عجزت عن تنفيذها بعد خروجها من مصر [353].

أما الشيخ محمد عبده فقد قيم التجربة الإصلاحية لمحمد علي باشا فقال في إطار تقييمه ما الذي صنعه محمد علي؟ لم يستطع أن يحي و لكن استطاع أن يميت، كانت معظم قوة الجيش معه، كان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة، أخذ يعدم كل معارض له من خصومه، فلم يبقى في البلاد من معارض له قام بذبحه أو نفيه، قام بسحق جميع عناصر الحياة في البلاد، و صارت البلاد المصرية كلها إقطاعا واحدا له و لأولاده[354].

و يرى بأنه أنشأ جيشا و أسطولا عظيما تفتخر به مصر أمام الشعوب، لكنه لم يعلم المصريين حب التجنيد و لم يحببهم في الخدمة العسكرية، بل علمهم الهروب منها و كانت قوتة البرية و البحرية خدمة لمظالمه، و رأى محمد عبده أن محمد علي باشا لم يقدم شيئا للإسلام فقد ملأ مصر بالدخلاء و الأجانب و أخذ يستعين بهم و يعينهم في المناصب العليا و يطلق يدهم للعلن، و بذلك نفى محمد عبده ما ينسب إلى محمد علي باشا من إصلاح[355].

قام محمد علي باشا بدور خطير تمثل في إخراج مصر من حيزها الإسلامي تنفيذا للمشروع الصليبي الذي كان يهدف إلى القضاء على الإسلام بصفة عامة و القضاء على الدولة العثمانية و تغريب العالم الإسلامي من خلال تغريب مصر التي كانت النواة لهذا المشروع، فقد كانت فرنسا تدعم محمد علي و تغريه بالاستقلال عن الدولة العثمانية و بذلك تنفصل مصر عن العالم الإسلامي و هذا ما يجعل محمد علي نموذجا يحتذي به بقية الولاة و بذلك تسقط الدولة و تنهار و هذا ما قام به محمد

---

(353) سليمان بن صالح الخرابشي، المرجع السابق، ص 665.

(354) ياسر ثابت، مدونة قبل الطوفان، أثرياء مصر زمان و الآن، محمد علي، الاحتكار و الاحتقار، الأحد 15 فيفري 2005، قسم المحروسة، يوم الدخول 27 مارس 2016/ 17 جمادى الأولى 1437 الساعة 03:01.

(355) سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص 10، 11.

علي باشا ففرنسا هي التي صنعت له جيشه الذي استخدمه في محاولته الاستقلال عن الخلافة[356].

حيث يقول توينبي أن مصر بدأت في الاضمحلال و الاصطباغ بالصبغة الأوروبية منذ عهد محمد علي، فقد قضى على عقيدة الولاء و أزالها من قلوب المسلمين ليرضي الصليبيين و يسلم شعبه للمخططات اليهودية فاتبع سياسة حلت بالكرب و الضيق على المسلمين، فقد أظهر الجبرتي المكانة التي وصل إليها الكفار في عهد محمد علي باشا، فقد تقلدوا مناصب رفيعة، فقد أحاط محمد علي باشا نفسه باليهود و النصارى و أخذ يعتمد عليهم و يسند إليهم المناصب الهامة في الدولة[357].

أما الجانب الآخر من سياسته التي كانت تخدم المخططات الصليبية هي إرسال الطلبة إلى أوروبا لأخذ العلوم و المعارف، فهذا الشيء كان أخطر من ما قام به محمد علي باشا و لا يمكن اعتباره سببا للنهوض بمصر، فلو أراد محمد علي النهوض بمصر، كما يزعم لاعتمد على أسس إسلامية و قاعدة إسلامية فقد كان في يده سبيل آخر غير البعثات العلمية للنهوض بمصر، ألا و هو الأزهر معقل العلم في العالم الإسلامي، فإرسال محمد علي باشا للصبية إلى أوروبا و هم غير محصنين بالعقيدة لينهلوا من علوم الغرب ليعودوا فيما بعد ليكونوا أداة في يد الغرب[358].

و لو كان محمد علي باشا يهدف من خلال مشروعه التعليمي إلى النهوض بمصر لقام بإصلاح الأزهر، حيث قام بعكس ذلك فقد كرس كل جهوده للأخذ من علوم الغرب و فنونها و ثقافتها، فكان التعليم غربيا بامتياز، و بذلك حقق محمد علي باشا هدفه الكبير و ألغى دور الأزهر في المجتمع و قضى عليه نهائيا إلا أن هذا الرأي بعيد عن الصواب فعندما قرر محمد علي باشا بناء مدارسه كان في حاجة إلى معلمين يتقنون اللغة العربية فاتجه إلى الأزهر و أخذ منه ما يحتاجه من معلمين[359].

---

(356) سليمان بن صالح الخرابشي، المرجع السابق، ص 666، 667.

(357) سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص 11، 15.

(358) سليمان بن صالح الخرابشي، المرجع السابق، ص 667، 668.

(359) سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص 24، 25.

و ذكر الدكتور أحمد فرج أن محمد علي باشا كانت له أهداف علمانية حيث اعتبر مبادئ نابليون التي غرسها في جيشه وجدت في محمد علي ما يساعدها على الخروج للعلن، بعد أن تمكن من القضاء على سلطة الأزهر فتراجعت بذلك مكانة العلماء. لذلك كانت إصلاحات الباشا كلها امتداد لمخططات نابليون و على هذا الأساس أسس محمد علي باشا دولته العلمانية فقد ذكر أحمد فرج نقلا عن مقال لمحمد عبده أن الباشا قام بالنهوض بالعلم لكن ليس وفق قواعد الدين و التربية و الأدب، فالكتب التي ترجمت في هذا العهد كانت لنشر ثقافة الأوروبيين في مصر [360].

و هذا ما أكده أرنولد توينبي الذي قال أن محمد علي باشا ديكتاتور، استطاع تحويل آراء نابليون إلى حقائق واقعية جسدها في مصر، و بذلك يظهر محمد علي كعميل من عملاء الغرب سواء كان وصوله إلى الحكم بتخطيط فرنسي أو بدهاء منه، فإن ذلك لا ينفي أن الدول الأوروبية قد احتوته و كانت هي التي تقوده[361].

كانت هذه هي الآراء المختلفة في شخصية محمد علي و إصلاحاته، كما أن حروبه هي الأخرى نالت نصيبها من هذه الآراء، ففتح السودان حظي باهتمام الإخوة قطاوي حيث أن الباشا أدرك أهمية وحدة نهر النيل التي لا يمكن لها أن تكون إلا بفتح بلاد السودان و تحقيق الوحدة الجغرافية[362].

و شفيق غربال اعتبره مجرد فتح لا يمكن اعتباره استعمارا و لا امتلاكا فهو ضم لجزء من العالم الإسلامي إلى الأمة الإسلامية[363].

أما الحروب الوهابية فقد اعتبرت دفاع عن السنة المحمدية و الشريعة الإسلامية.

أما فيما يخص خلاف محمد علي باشا مع السلطان العثماني و مع الدول الأوروبية، أو ما اصطلح عليه بالمسألة الشرقية، فقد انتهت بتقييد سلطته بمقتضى معاهدة لندن في يوليو 1840، بعدما خشي السلطان العثماني من توسع محمد علي في بلاد الشام، أما أوروبا فقد كانت تتخوف من

(360) سليمان صالح الخرابشي، المرجع السابق، ص 670.

(361) سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص 98.

(362) رينيه و جورج قطاوي، المرجع السابق، ص 72.

(363) محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ص 131، 132.

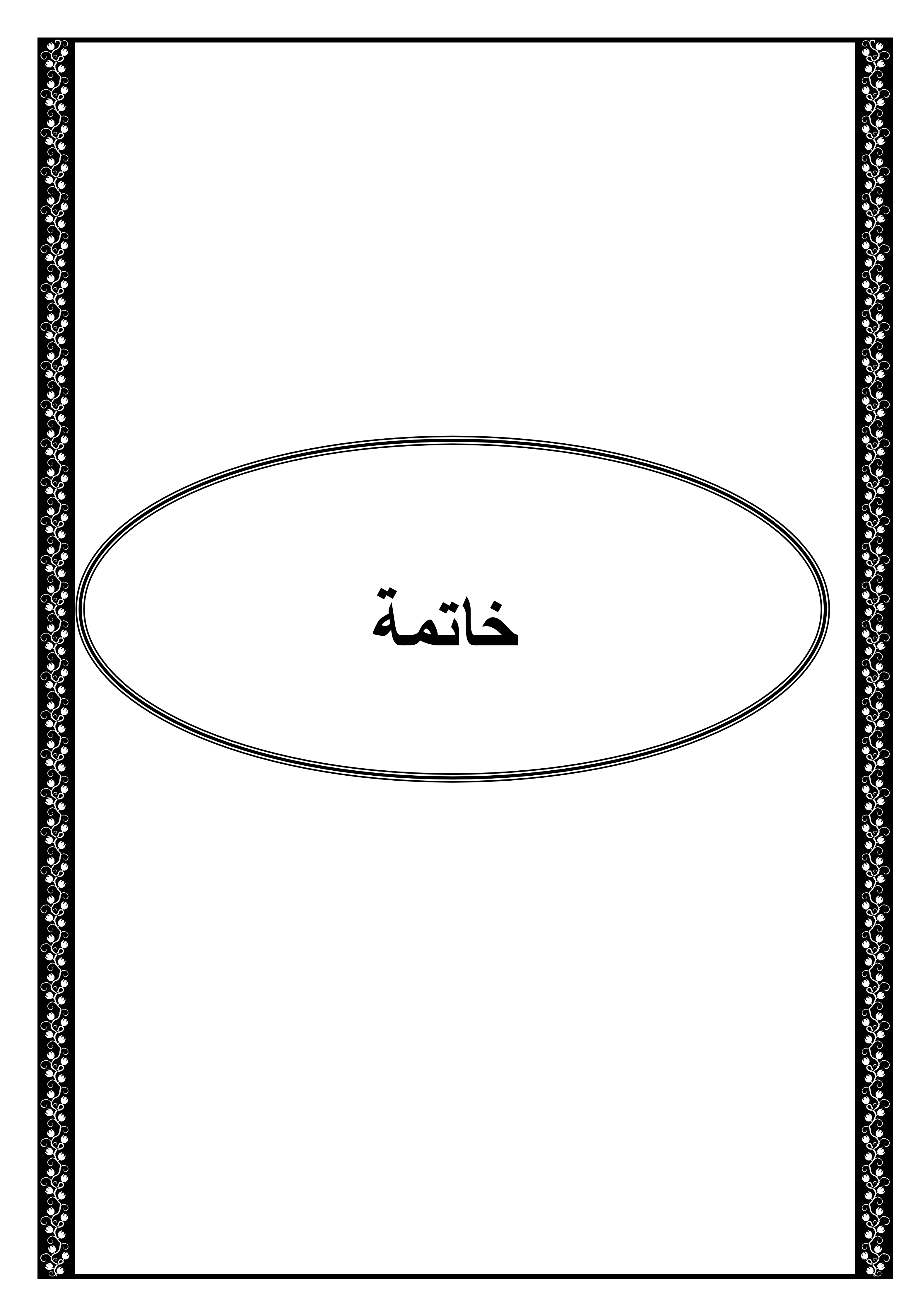
الاحتكار الذي اتبعه محمد علي مما أدى لإغلاق الأسواق المصرية في وجه المنتجات الأوروبية في الوقت الذي كانت فيه هذه الأخيرة في حاجة ماسة إلى أسواق خارجية لتصريف منتجاتها، أساس المشكلة جاء بعد توقيع اتفاقية بلطة ليمان بين الباب العالي و انجلترا بمقتضاها يسمح للمنتوجات الانجليزية بدخول الأسواق المصرية مقابل رسوم جمركية و هو الأمر الذي رفضه محمد علي باشا الذي تخوف على مشروعه الإصلاحي هنا التقت مصالح الباب العالي و الدول الأوروبية فتحالفا معا حتى أوقعا الهزيمة بمحمد علي باشا و فرضت عليه معاهدة لندن في 1840م[364].

إلا أن هذه المعاهدة لم تؤثر سلبا على إصلاحات الباشا فعلى الرغم من توقف مشروعه العسكري إلا أن مشروعاته الأخرى لم تتوقف[365].

---

(364) رينيه و جورج قطاوي، المرجع السابق، ص 72.

(365) محمد فؤاد شكري و آخرون، المصدر السابق، ص 202.



خاتمة

وفي الختام دراستنا نجد أنفسنا أمام شخصية استثنائية نه ضت بمصر من حالة الفوضى والفساد السائدة وبفضل شجاعة محمد علي وحنكته استطاع أن يحمي مصرمن غزو أجنبي أخر بعد خروج الفرنسيين ،وذلك في ظل تصارع القوى الأجنبية على حكم مصر ،فقد استغلى الباشا جميع الفرص وضعف الدولة العثمانية في تلك الفترة و أراد أن يقتص حكم مصر له ولأبنائه من بعده فقد وضع الكثير من الخطط ودبر المكائد التي بقيت عالقة في التاريخ أهمها مذبحة القلعة ،وذلك من اجل انفراده بالحكم فقوة الباشا بدت جلية أثناء وصوله إلى الحكم ،فقد هزم الكثير من القوى ،وعلى رأسها الانجليز وفرنسا والعثمانيين والمماليك ،فبعد تخلص الباشا من جميع هذه العقبات ،وجه أنظاره وجهوده في سبيل النهضة القومية .

فبعدما استطاع أن يخلق لنفسه مكانة مرموقة على الساحة السياسية ،وكذلك في نفوس المصريين بعد مجالستهم وكسب ودهم ،فالباشا كان مدركا بان ذلك سيفتح له أبواب القلعة وسيمهد له الطريق نحو اعتلاء العرش وهذا ما حدث بالفعل ،فقد بايعه الأعيان و أجبر السلطان العثماني على تعيينه واليا على مصر ،وبذلك إنفرد بالحكم و أخذ يثبت سلطته شيئا فشيئا حتى تعاظمت قوته ،فهذه القوة مكنته من التمرد على السلطان العثماني وإعلان مصر ولاية مستقلة ،وأصبح حكمها وراثيا له ولأسرته غير أن طموح الباشا لم يقف عند هذا الحد بل عمل على تو سيع نفوذه وضم كل من السودان وجزء من الحجاز ،كل هذا وضع الباشا في صورة الطامع إلى السلطة ،غير أن هذا الأمر لا ينفي ما شهدته مصر في عهده ولم تشهده في عهد سواه ،فقد أقام دولة حديثة تضاهي دول العالم الغربي ،حيث قام بوضع الأسس المتينة لإعادة بناء مصر المتطورة ، فقد عمل على تطوير مختلف القطاعات دون استثناء ، و أعاد هيكلتها وقام ببناء الجيش وكان له الفضل في إدخال العديد من الصناعات الحديثة إلى مصر ،كما كان للزراعة والتعليم نصيب كبير من هذا التطور إضافة إلى التجارة الداخلية .

وقد كانت رؤيته وإستراتجيته تقوم على القيام بذلك في أسرع وقت ممكن لإحساسه بتكالب الدول الأوروبية على مصر ،فكانت أول ما قام به إرساء قواعد البناء المتين لمختلف جوانب الحياة في مصر ممهدا بذلك كل الطرق السليمة بأن تكون مصر دولة حديثة في حياته و للقادم من ذريته ولبقية المصريين وهو ما حدث بالفعل حيث جعل من مصر ولاية متميزة .

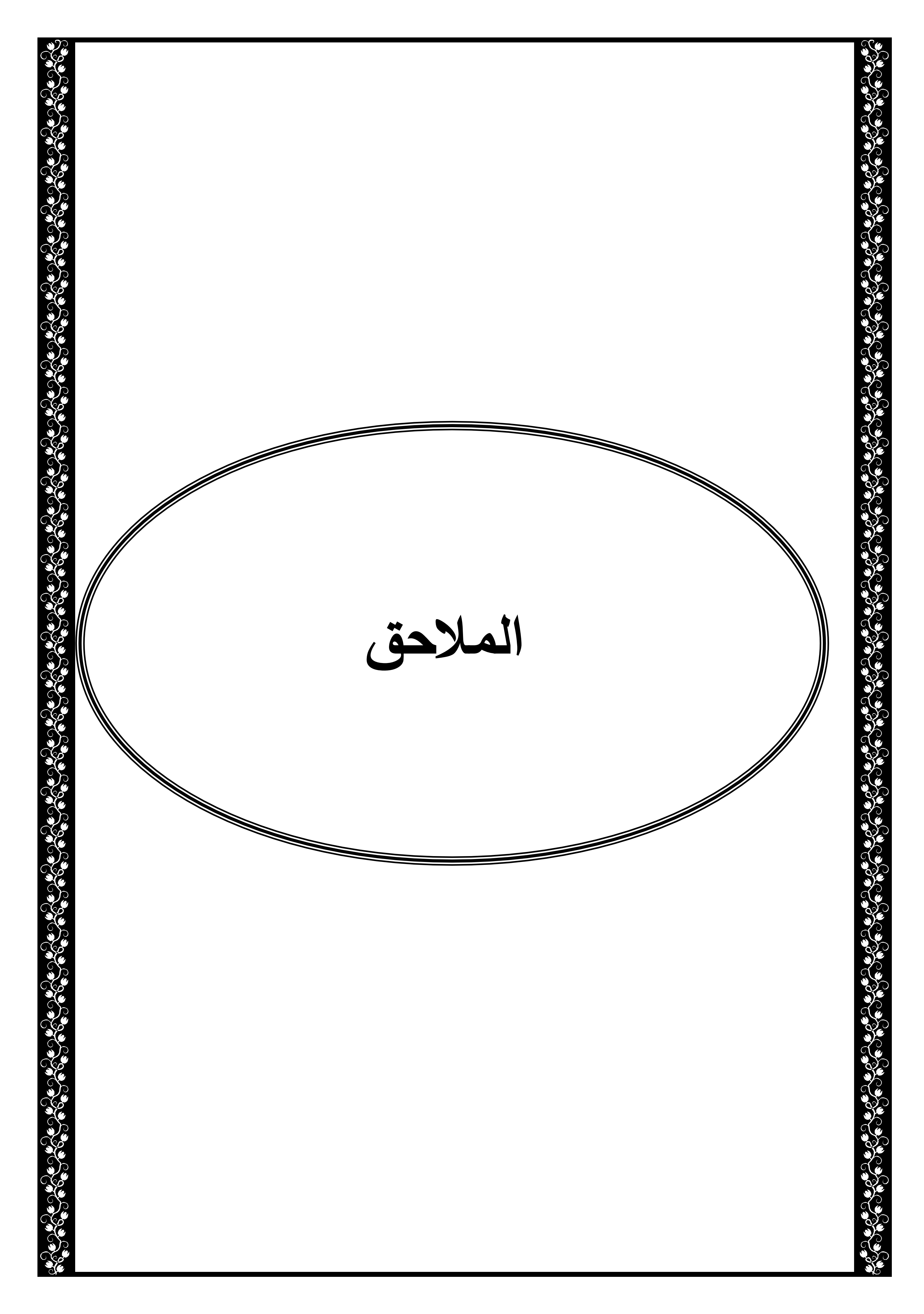
وبذلك دخلت مصر في حقبة جديدة ،فكان تولي الباشا لحكم مصر بداية العصر الحديث ،وبداية مرحلة جديدة عرفت بالنهضة التي أثرت على تاريخها السياسي والاقتصادي ،فقد نجح الباشا في تشييد دولة حديثة من خلال مؤسساته السياسية و خططه المحنكة حيث أوجد توازنا في إدارة مصر فحقق الاستقلال الذاتي والاستقرار السياسي على نطاق واسع ،أتاح له تنفيذ كل برامجه الوثائقية والاقتصادية والاجتماعية كما عمل على تطوير آلياته وخططه العسكرية على النمط الأوروبي ،فقد اتبع الباشا الأساليب الغربية في إصلاحاته حيث انتقل بمصر من العصور المظلمة إلى العصور الحديثة .

لم يكن الطريق سهلا في سبيل القيام بإصلاحاته فقد واجهته الكثير من المشاكل والعقبات على رأسها مشكلة العمال الذين لم يكونوا مؤهلين بشكل كبير للقيام بالإصلاحات العصرية التي أرادها الباشا ،فقد تحمل جميع المشاكل والصعاب في سبيل تعليم العمال ،إضافة إلى الوضع السيئ الذي كانت عليه مصر قبل حكمه ،فلم يكن الطريق سهلا للحصول على الأجهزة العصرية للمصانع كما أراد ،لكن بمثابرته وإسراره على تحقيق حلمه ،استطاع أن يتغلب على كل المعيقات لإنجاح حركته الإصلاحية كما يجدر بنا الإشارة إلى ا لأثر الذي خلفته نهضة محمد علي سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ،مس هذا الأثر التجارة المصرية التي انفتحت على الأسواق الأوروبية ،كما يظهر اثر الإصلاح جليا من خلال وضعه لسياسة مالية أحدثت من خلالها انقلابا من كل الجوانب ،هذه السياسة مكنته من مواجهة مطالب جيشه والتحكم في ملكية الأراضي إلا أن الأمر لم يخلو من بعض السلبيات فقد أصبحت مصر عرضة للتدخلات الأجنبية وهذا بسبب إعتماده على الأسواق الأوروبية والتجار الأوروبيين بالإضافة إلى سلبيات نظام الإحتكار الذي أدى إلى تحكم الباشا في كل التفاصيل حيث كان يتحكم في مصير العمال وأجورهم مما أدى إلى فرارهم .

إن الأعمال و الإنجازات التي وصل إليها الباشا ،جعلت المؤرخين يخصونه دون غيره بألقاب منها مؤسس مصر الحديثة و مؤسس الأسرة العلوية الخديوية فقد شغل الباشا حيز كبير من اهتمام المؤرخين حيث تضاربت الآراء حوله بين مؤيد ومعارض ،فهناك من وصفه بالمصلح كما وصف بقسوة القلب والنظر إلى الذات وعدم المبالات بالإسلام ومحاربته وهناك من يعتبر أن مصر عرفت عصر التنوير والنهضة في ظل الدولة التي أسسها محمد علي باشا وهو يعتبر رائد

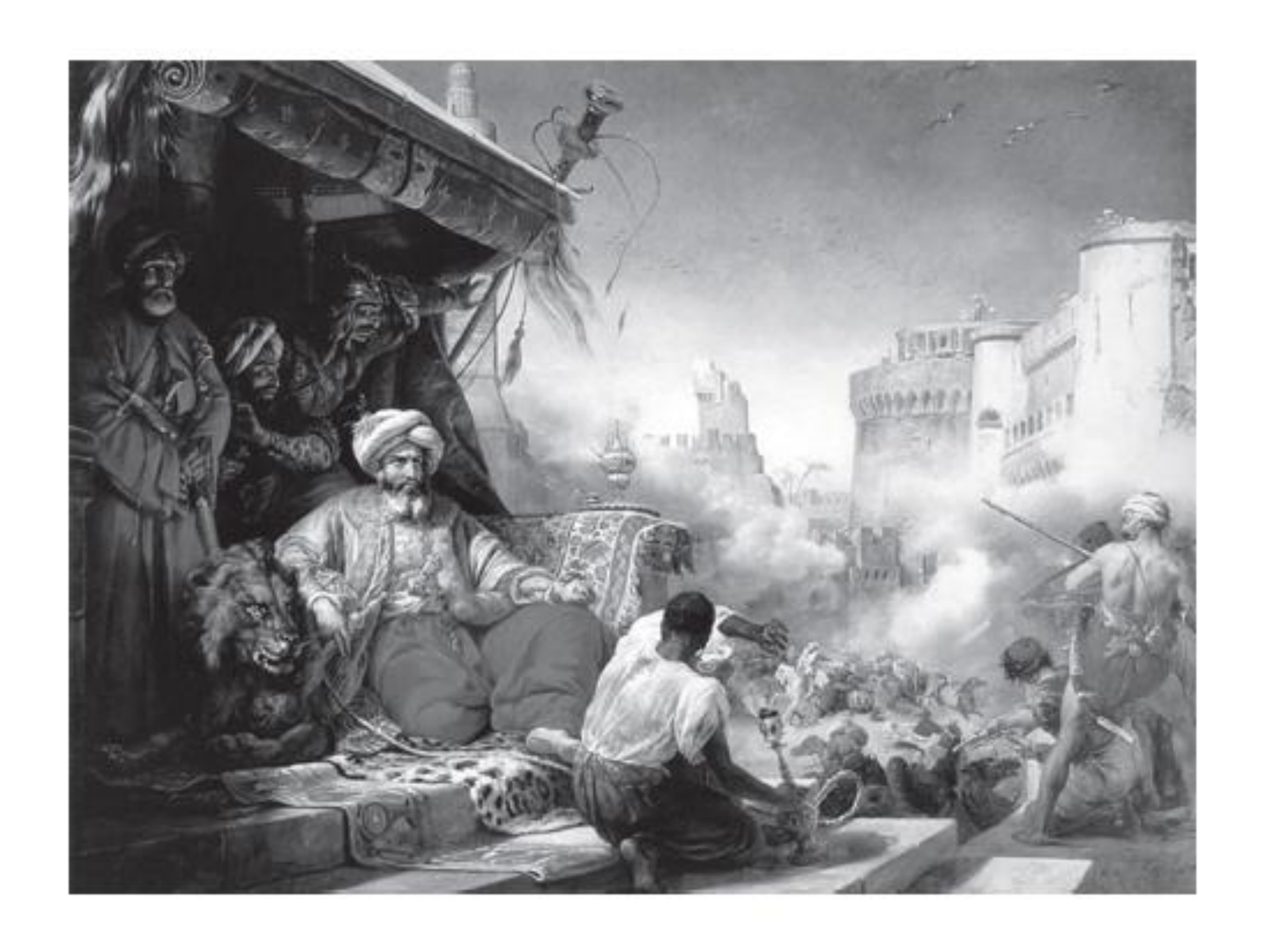
للدولة المصرية الحديثة فهومن اخرجها من الظلمات كما أن هناك الكثير من الكتابات إعترفت أن الباشا هو واضع النظام العادل للدولة المصرية وهو من أخرجها من دائرة الصراعات والفوضى.
وأخيرا نقول أن محمد علي باشا واضع النهضة العلمية ،الاقتصادية، العسكرية، الإدارية فقد حقق الإستقلال القومي ووضع دعائمه التي تحميه ،ولو أن خلفائه من بعده إتبعوا نفس السياسة لما ضاع سلطانهم .

إنتهى حلم محمد علي باشا التوسعي بتحالف الدولة الأوروبية ضده لصالح الحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية ،فأرغم على الانسحاب من الأماكن التي إستولى عليها مقابل أن تكون مصر له ولأولاده من بعده.



الملاحق

محمد علي في القلعة وقت مذبحة المماليك



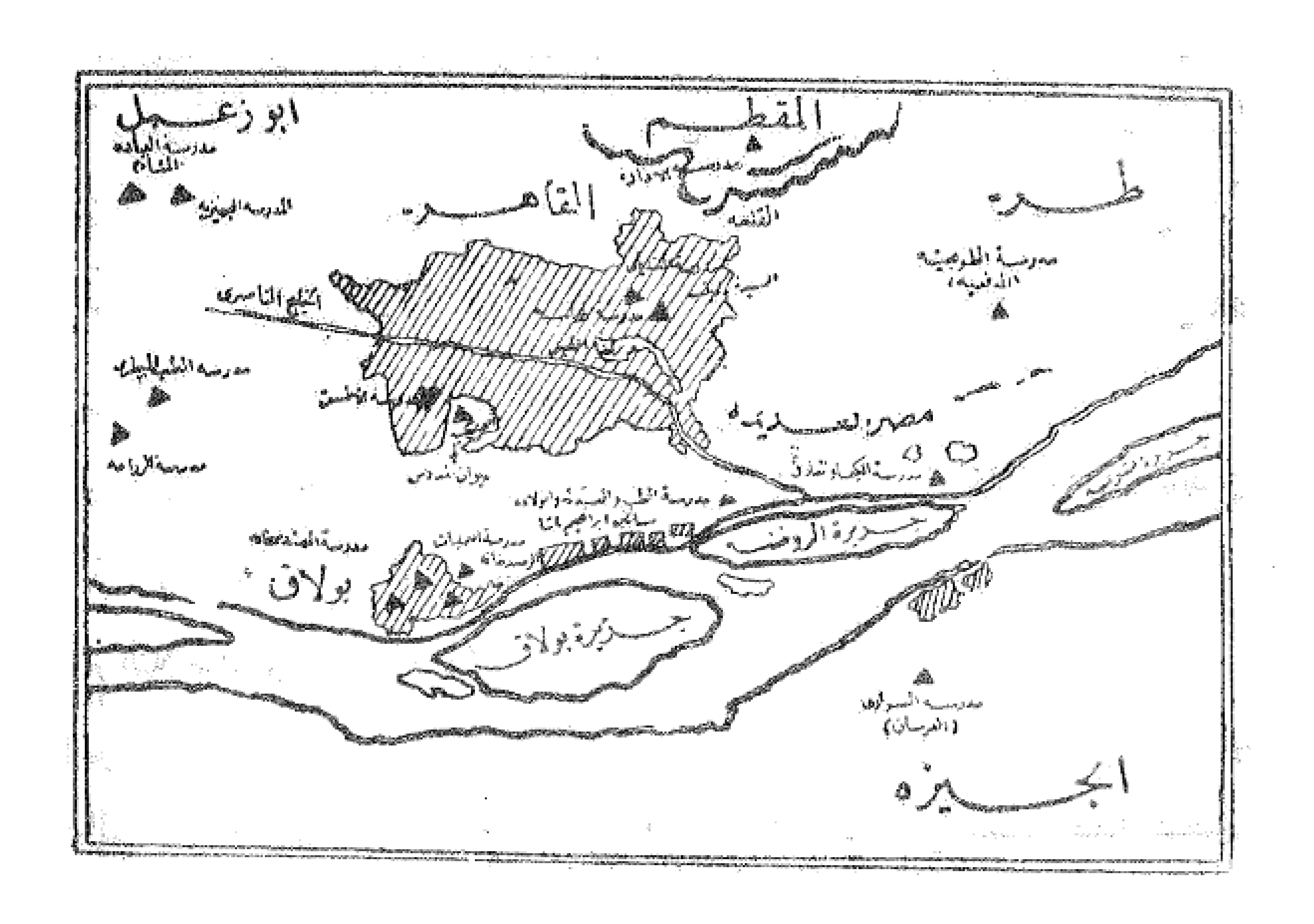
عمر الاسكندري و سليم حسن، المرجع السابق، ص 135

أفراد البعثات العلمية في عهد محمد علي باشا



عمر الاسكندري و سليم حسن، المرجع السابق، ص 162

خريطة القاهرة لتبيان المدارس التي أنشأها محمد علي باشا



جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 32.

احتكار الصناعات في عهد محمد علي:

أنواع الصناعة	سنة انشاء المصانع
صناعة الغزل والنسيج	1815 م
صناعة النيلة	1816 م
الصناعة الزيتية	1816 م
صناعة الشمع	1816 م
صناعة الحرير	1817 م
صناعة الصوف	1818 م
صناعة السكر	1818 م
حلج القطن	1820 م
صناعة الصابون	1826 م
صناعة الورق	1834 م

صلاح احمد هريدي ،المرجع السابق ،ص 210–228.

المدارس الحربية في عهد محمد علي باشا:

المدرسة	سنة التأسيس	مكان التأسيس
أسوان	/	/
مدرسة قصر العبيني (المدرسة الجهرية)	1825 م	قصر العبيي بعدما نقلت إلى أبي زعل
مدرسة المشاة	/	- الحانكة - 1834 نقلت إلى دمياط - و في 1841 نتقلت إلى أبي زعيل
مدرسة الورسان	/	الجيزة
مدرسة المدفلية مدرسة أركان الحرب الموسيقى العسكرية	/ / /	- طره - الخانكة /

عبد الرحمن الرافعي ،المرجع السابق ،ص 332-336.

المدارس العليا في عهد محمد علي:

اسم المدرسة	تاريخ التأسيس	مكان التأسيس
مدرسة الهندسة	1816 م	القلعة
مدرسة الطب	1827 م	أبي زعبل
مدرسة الصيدلة	1829 م	القلعة
مدرسة الهندس خانة	1834 م	بولاق
مدرسة المعادن	1834 م	مصر القديمة
مدرسة الألسن	1834 م	الأزبكية
مدرسة الزراعة	1836 م	شبرا
مدرسة المحاسبة	1838 م	السيدة زينب
مدرسة الفنون و الصنائع	1839 م	/

عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص 398-403.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

1/ أنيس النصولي، أسباب النهضة في القرن التاسع عشر، تحقيق عبد الله الصباغ، ط 1، ابن زيتون للنشر و التوزيع.

2/ إلياس الأيوبي، محمد علي سيرته و أعماله و آثاره، دار الهلال، مصر، 1923.

3/ إسماعيل سراج الدين، تحديث مصر في عهد محمد علي، إعداد و تحقيق يونان لبيب رفيق و محسن يوسف، الإسكندرية، 2007.

4/ حسين فوزي، سندباد مصري جولات في رحاب التاريخ، ط3، دار المعارف، الإسكندرية.

5/ خالد فهمي، كل رجال الباشا محمد علي و جيشه و بناء مصر الحديثة، ترجمة شريف يونس، دار الشروق.

6/ عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول و سعيد، مطبعة صلاح الدين، الاسكندرية ، 1353 - 1934م .

7/ عمر طوسون، المصانع و المدارس في عهد محمد علي باشا، طبعة إلكترونية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2012.

8/ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981.

9/ عبد الرحمن الجبري، عجائب الآثار في التراجيم و الأخبار، ج3، دار النفائس.

10/ عبد الرحمن الجبري، عجائب الآثار في التراجيم و الأخبار، ج 4، تحقيق عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية.

11/ محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر، 1801-1811، ج 1، القاهرة، 1958.

12/ محمد فؤاد شكري، عبد المقصود العنابي، سيد محمد خليل، بناء دولة مصر في عهد محمد علي، ط1، دار الفكرالعربي، القاهرة ،1948.

13/ نقولا التركي، الحملة الفرنسية على مصر و الشام، ط1، دار العرابي، لبنان، 1990.

المراجع:

1/ أحمد أحمد الحتة، تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، القاهرة، 1951.

2 /أحمد عوف، أحوال مصر من عصر إلى عصر، العربي للنشر و التوزيع، الإسكندرية.

3 /أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر في عصر محمد علي، القاهرة، 1938.

4 /أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.

5/ أمين عز الدين، تاريخ الطبقة الحاكمة في مصر منذ نشأتها حتى 1919م، القاهرة، 1967.

6/ أمين سامي باشا، تقويم النيل و عصر محمد علي، ج2، القاهرة.

7/أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ج 5، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986.

8/ أنيل ألكسندر روفناد ولياتر، الإمبراطورية العثمانية و علاقتها الدولية في ثلاثينيات و أربعينيات القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

9/ أمل عجيل، قصة و تاريخ الحضارات العربية، موسوعة تاريخية و جغرافية، حضارية أدبية، ليبيا و السودان، المغرب، ج19، بيروت، 1999.

10/ الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

11/ إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبكات، 1997.

12/ إكمال الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ و حضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الاسلامية ، اسطنبول، 1998.

13/ جميل خانكي، البحرية المصرية، القاهرة، 1948.

14/ جميل بيضون، و شحادة الناظور، و علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، ط 1، دار الأمل، 1992.

15/ جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامي الى الان ،ج2،مكتبة مدبولي،1999.

16/ جمال الدين الشيال، موسوعة التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ، ط1، مكتبة النهضة العربية،القاهرة ،1951.

17/ جمال بدوي، محمد علي و أولاده، بناء مصر الحديثة، مكتبة الأسرة.

18/ جمال عبد الهادي و آخرون، الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، ط 1، دار الوفاء، 1994.

19/ جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث، دار الفكر العربي.

20/ جاك تاجر، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، 2012.

21/ جلال يحي، مصر الحديثة،منشاة المعارف ، الاسكندرية .

22/ حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني الى نهاية الحرب العالمية الاولى ،مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1997م

23/حلمي احمد شلبي ،الموظفون في مصر في عهد محمد علي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر،1989

24/ حليم عبد الملك، السياسة الاقتصادية في عهد محمد علي بك الكبير، القاهرة.

25/ حسين الكفافي، محمد علي رؤية لحادثة القلعة، الهيئة المصرية للكتب، مصر، 1992.

26/ رينيه و جورج قطاوي، محمد علي و أوروبا، دار الكتب و الوثائق القومية، الجمعية، المصرية.

27/ رانيا الهاشم، قصة و تاريخ الحضارة العربية بين الأمس و اليوم، مصر.

28/ زكريا سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثماني، ط1، عالم المصرية، 1991.

29/ زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار المسيرة، عمان، 2014.

30/ سلوى العطار,التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي ,ط 1,دار, النهضةالعربية,القاهرة 1989

31/سلوى العطار، تاريخ مصر الحديث ،القاهرة ،1997.

32/ سيد بن حسن العفاني، أعلام الأقزام في ميزان الإسلام، ج 1، دار ماجد عيري للنشر و التوزيع السعودية، 1424هـ/2004م.

33/ سليمان بن صالح الخرابشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة و الجماعة، دراسة إسلامية سلفية لكتب و مقالات الدكتور محمد عمارة، دار الجواب، 1413هـ-1993م.

34/ صلاح أحمد هريدي، الحرف و الصناعات في عهد محمد علي، تقديم عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، 1405هـ-1985م.

35/ عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،مكتبة أنجلومصرية، القاهرة، 1952.

36/ علي الجرتلي، تاريخ الصناعة في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، القاهرة، 1952.

37/ عمر الإسكندر، و سليم حسين، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2012.

38/ عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي، دار التضامن للطبع و النشر و التوزيع، 1922م.

39/ عبد المنعم ضيفي عثمان، تاريخ مصر من العصر الفرعوني إلى العصر الحديث ، ط1، دار الرشاد ، القاهرة ، 2006،ص133 .

40/ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي1516-1922،دار النهضة العربية،بيروت.

41/ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ مصر الحديث و المعاصر 1517-1922، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009.

42/ علياء عكاشة، العمارة الإسلامية في مصر،بردي للنشر، مصر، 2008.

43/ عدنان عطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط1، وحي القلم، لبنان، 2006.

44/ عبد العزيز نوار، تاريخ العرب المعاصر، مصر و العراق، دار النهضة العربية، بيروت.

45/ عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط5 ، دارالمعارف، القاهرة،1989.

46/علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ج 2، ط2، مكتبة حسن العصرية، لبنان، 2012.

47/ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، بور سعيد، 2001.

48/ عايض بن حازم الروفي، حروب محمد علي في الشام و آثارها في على شبه الجزيرة العربية1248هـ-1255هـ/1831م-1839م، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.

49/ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الاوضاع الإدارية في ضوء الوثائق و المصادر العثمانية، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، 2007.

50/ قصي الحسين في الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي و العثماني، ط 1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2004.

51/ لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام 1831-1841، ط2، المؤسسة الحديثة مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.

52/ محمود عباس أحمد عبد الرحمن، معالم مصر الحديثة و المعاصرة تاريخ و حضارة، ط 1، دار العالمية للنشر و التوزيع.

53/مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني 1516-1917، دار أسامة للنشر، الأردن.

54/ محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1934.

55/ محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926.

56/ محمد عادل عبد العزيز، انهيار الخلافة العثمانية و توابعه، دار الغرب للطباعة، القاهرة، 2006.

57/ مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر.

58/ مصطفى بركات، الألقاب و الوظائف العثمانية، دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني في مصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية، 1517م-1924م، دار الغريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000م.

59/ محمد شفيق غربال، محمد علي الكبير، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر.

60/محمد محمود السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، الاسكندرية،1927

61/ منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة، دار الكتاب العربي، القاهرة.

62/ موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية مجلد 2 حركات النهضة و بناء الدول الحديثة، بناء الدولة المصرية الحديثة في عصر محمد علي، تأليف محمد عبد الرحمن برج، دار الفكر العربي.

63/ نمير طه حسين، تاريخ العرب الحديث و المعاصر، ط 1، دار الفكر، ناشرون و موزعون، 2001.

64/ هشام سوادي هشام، تاريخ العرب الحديث 1516-1918، من الفتح العثماني إلى الحرب العالمية الأولى، ط5، دار الفكر، عمان، 2010.

65/ هيلين آن ريفلين، الاقتصاد و الإدارية في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، و مصطفى حسين، القاهرة، 1978.

66/ وليد صبحي العريض، تاريخ الدولة العثمانية، التاريخ السياسي و الإداري، ط 1، دار الفكر، 2012.

67/ وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط 2، الأهلية للنشر و التوزيع، لبنان، 2011.

الرسائل الجامعية :

01/- نجوي زغدودي ،الاصلاح و التجديد في مصر –محمد علي باشا– 1801,1849 ,رسالة ماستر ,اش :عمر عبد الناصر،قسم التاريخ و الأثار,جامعة 08ماي1945قالمة ,1433- 1434 هـ ,2012-2013م

مقالات علمية :

01/ محمد عفيفي، عبقرية البطل و المكان تجربة محمد علي باشا، مؤسس مصر الحديثة، المركز العربي للبحوث و الدراسات، www.asrseg.org.

02/ياسر ثابت، مدونة ما قبل الطوفان، << أثرياء مصر زمان ... و الآن، محمد علي الاحتكار و الاحتقار، قسم المحروسة ، 15فيفري2005، yasser.Blogsport.com.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات: